۱۳۲۸

شمس توس

شذرات من كلام الإمام الرضا عليه السلام

تألیف: محمد حکیمی

تعریب: دکتر علی اسدی

دبیرخانه دائمی کنگره جهانی امام رضا

بسم الله الرحمن الرحيم

شذرات

من كلام الإمام الرضا عليه السلام

إعداد:

محمّد الحكيميّ

نقله الىٰ العربيّة:

الدكتور علي الأسديّ

سرشناسه : حکیمی، محمد، ۱۳۱۸ -
عنوان و نام پدیدآور : شذرات من کلام الامام الرضا علیه‌السلام / تألیف محمد حکیمی؛ تعریب علی اسدی.
مشخصات نشر : مشهد: آستان قدس رضوی، شرکت به‌نشر، ۱۳۹۰.
مشخصات ظاهری : ۱۱۲ ص.
فروست : آستان قدس رضوی؛ ۱۳۴۸.
شابک : 978-964-02-1676-7
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا.
یادداشت : عربی.
یادداشت :کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : علی بن موسی (ع)، امام هشتم، ۱۵۳؟ ـ ۲۰۳ ق. - - احادیث
موضوع : علی بن موسی (ع)، امام هشتم، ۱۵۳؟ ـ ۲۰۳ ق. - - کلمات قصار
شناسه افزوده : اسدی، علی، ۱۳۳۶ ـ
شناسه افزوده : شرکت به‌نشر (انتشارات آستان قدس رضوی)
رده‌بندی کنگره : ۱۳۹۰ ۴ ش ۷۴ ح / BP ۴۷
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷.۹۵۷
شماره کتابشناسی ملی : ۲۴۶۸۳۰۱

۱۳۴۸

شذرات من کلام الإمام الرضا علیه‌السلام

محمد الحکیمیّ

نقله الیٰ العربیّة: الدکتور علّی الأسديّ

تصمیم الغلاف: حسین فیلی‌زاده
الطبعة الاولیٰ / ۱۴۳۲ هـ ـ ۱۳۹۰ شمسی ـ ۲۰۱۱ م
الکمیّة ۳۰۰۰ نسخة من القطع الرقعیّ
طباعة: مؤسّسة الطباعة و النشر التابعة للآستانة الرضویّة المقدّسة
بطلبٍ من الأمانة الدائمة لمهرجان الإمام الرضا علیه السلام العالميّ
الرقم الدولیّ لنشر الکتب: ۷ ـ ۱۶۷۶ ـ ۰۲ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸

حقوق الطبع محفوظة

بِهْنَشْرْ (إصدارات الآستانة الرضویّة المقدّسة)

المکتب المرکزیّ: مشهد، ص. پ ۹۱۳۷۵/۴۹۶۹ ۹۱۳۷۵/۱۵۷، الهاتف ۳ـ۷۶۲۵۰۰۱ ، الفاکس ۷۶۵۲۰۰۶
مکتب طهران: ۸۸۹۶۰۶۲۰ ، ۸۸۹۶۲۳۰۱، الفاکس ۸۸۹۶۵۹۸۲
العنوان المعلوماتیّ:www.behnashr.com البرید الالکترونیّ: publishing@behnashr.com

أمانة مهرجان الامام الرضا علیه‌السلام العالميّ

العنوان: شارع صاحب‌الزمان علیه‌السلام، شارع مولوی شمالی. مجمّع صاحب‌الزمان علیه‌السلام الثقافيّ ـ الفنّيّ، الطابق الثالث، الأمانة الدائمة لمهرجان الإمام الرضا علیه‌السلام العالميّ
الهاتف: ۳ـ۷۲۵۱۹۹۱ الناطق: ۷۲۸۷۸۰۰ الفاکس: ۷۲۴۸۵۸۰ المراسلة عبر الجوّال: ۳۰۰۰۷۸۸۸
www.shamstoos.ir info@shamstoos.ir

دليل الموضوعات

قطوف دانية من كلام الإمام الرّضا«ع» ٩
تمهيد ٩
١ ـ الدعاء ١٥
٢ ـ مدح النّبيّ «ص» ١٧
٣ ـ الاعتقاد بالله و المساواة الإنسانيّة ١٨
٤ ـ التعقّل ٢١
٥ ـ العلم هو المحور ٢٣
٦ ـ معرفة النفس ٢٤
٧ ـ معرفة الزمان ٢٦
٨ ـ العلاقات الإجتماعيّة علىٰ أساس المعرفة ٢٧
٩ ـ المسؤوليّات الإجتماعيّة ٢٨
١٠ ـ التقيّد بالقانون و قبول التقييد ٢٩
١١ ـ السلوك الإنسانيّ مع جميع الأشخاص ٣١
١٢ ـ حقوق الإخوّة ٣٣
١٣ ـ التقدير في المعيشة ٣٥
١٤ ـ القيمة الحيويّة للماء ٣٧

١٥ ـ الاستعمال الأفضل للمال ٣٩
١٦ ـ الفقر هو البلبلة الكبرىٰ ٤١
١٧ ـ سرّ وجوب الصوم ٤٣
١٨ ـ النموذج المثاليّ للاستهلاك ٤٤
١٩ ـ استثمار جميع الموادّ ٤٦
٢٠ ـ العائدات غير المشروعة ٤٨
٢١ ـ الكرامة الإنسانيّة ٤٩
٢٢ ـ حقوق الإنسان ٥١
٢٣ ـ في جانب الخدّام ٥٣
٢٤ ـ أسباب تكدّس الثروة ٥٤
٢٥ ـ التعقّل و تقبّل التربية ٥٦
٢٦ ـ نظاق مسؤوليّة الحكومة ٥٨
٢٧ ـ العطر و الطيب ٦٠
٢٨ ـ النظافة و الصحّة ٦٣
٢٩ ـ الخَصخَصة أو العَمعَمة ٦٥
٣٠ ـ الاستئثار و التخصيص ٦٨
٣١ ـ الاستغلال ٧٠
٣٢ ـ تحديد الربح في التجارة ٧٣
٣٣ ـ الأخلاق المثاليّة ٧٦
٣٤ ـ العمل في نظام الطبيعة ٧٧
٣٥ ـ العمل في نظام الشريعة ٧٩
٣٦ ـ علاقة المحبّة و المودّة ٨١
٣٧ ـ إفراح الناس ٨٣

٣٨ ـ العقد و الوفاء بالعهد ٨٥
٣٩ ـ الآباء و الأمّهات ٨٦
٤٠ ـ الاعتدال ٨٨
٤١ ـ المحكمة و القاضي في المدينة الرضويّة المثاليّة. ٩٠
٤٢ ـ اللُطف بالأهل ٩٢
٤٣ ـ الحبّ الأكثر للبنات ٩٤
٤٤ ـ الحريّة في الاختيار ٩٥
٤٥ ـ التفكّر ٩٧
٤٦ ـ تعلّم العلم طول العمر ٩٩
٤٧ ـ معيار قيمة الإنسان ١٠١
٤٨ ـ التودّد إلىٰ الناس ١٠٣
٤٩ ـ أولويّة حقوق الأُمّ ١٠٦
٥٠ ـ التخطيط للمستقبل ١٠٨

قال الإمام الرضا(عليه‌السلام):

«رَحِمَ اللهُ عَبْداً أحيا أمرَنا»

إنّ ما نقدّمه لمُحبّي الإمام عليّ بن موسى الرّضا(عليه‌السلام) جانب من الجهود المتواصلة لِأُولي الثقافة والفكر و أصحاب القلم من خَدَمةِ الثقافة الرضويّة المتألّقة في أرجاء ايران الإسلاميّة و العالم الإسلاميّ، الذين عبّروا عن حبّهم عَبْرَ إبداعاتهم الثقافيّة والفنّيّة التي سَبَكوها في قالب برنامجٍ سنويٍّ مكثّف يُجريهِ المهرجان العالَميّ للإمام الرضا(عليه‌السلام) لمناسبة ميلاد الإمام(عليه‌السلام) و ميلاد أخته الكريمة فاطمة(عليها‌السلام) آملين أن يحظى بقبوله و عنايته(عليه‌السلام) و أن يتكلّل برضا الباري سبحانه و تعالىٰ و رضا وليّه و حجّته الإمام المهديّ عجّل‌الله فَرَجَه.

الأمانة الدائمة للمهرجان العالميّ للإمام الرّضا(عليه‌السلام)

قطوف دانية من كلام الإمام الرّضا«ع»

تمهيد

عصرنا عصر الازدهارات الكبيرة، و هو عصر البلبلة و الفوضى الكبرىٰ أيضاً! فازدهار العلوم و التقنيات و صناعة الآلات الثقيلة قد غيّرت وجه الحياة من جهة، و أنواع التمييز، وحبّ التسلّط، و التكتّلات، و انتهاك القوانين قد أفقدت الحياة إنسانيّتها و جعلتها سوداء شاذّة من جهة أخرىٰ.

و ظهرت إنجازات ضخمة في ظلّ العلوم، و رافقتها ضروب الفوضىٰ و نكران الجميل بنحوٍ أضخم. و أُزيحت عقبات من طريق الإنسان، بيد أنّ عقبات كؤودة من الظلم، و الفقر، والحرب، و الاستغلال، و أمثالها قد وضعها الإنسان في طريق أخيه الانسان. و عولجت أمراض، و أمراض أُخرىٰ مستعصية قد أمرضت جسد الإنسانيّة. و رُفعت أنواع من الرقّ و العبوديّة، لكنّ أنواعاً مُمضّةً أخرىٰ منها قد نغّصت حياة الإنسان أكثر من أخواتها السالفات.

وَ وَضَعَ هذا العصر الذي يسوده الشذوذ والطغيان و الوضاعة و النفعيّة و نكران القَدر و القيمة أمام الناس أربعة موضوعات ما زالت تهدّد البشريّة كلّها تماماً، و نطاقها واسع شامل:

١ ـ علاقات الناس علىٰ سطح الكرة الارضيّة غير إنسانيّة، بعيدة عن الحقّ، و تحكمها توجّهات القوّة، و حبّ التسلّط، و العنصرية، و الظّلم

و التعسّف.

٢ ـ الفقر و الرأسماليّة و الثراء و العُدم والحياة الطبقيّة غير الإنسانيّة، كلّ اولئك ظلّل حياة الناس بظلّه المشؤوم و ألقى خلقاً كثيراً لايُحصىٰ من النّاس في غيابت الفقر، و المرض، و الأُميّة، و أمثالها.

٣ ـ الحرب و القتل الملحوظان دائماً في كلّ بقعة من بقاع الكرة الأرضيّة، و انطفاء نار الحرب في نقطة، و إيقادها في نقاط أُخرىٰ، كلّ ذلك قد أتىٰ علىٰ حياة المظلومين و أحرق أخضرهم و يابسهم.

و تبعاً لذلك نجد أنّ أسواق التسلّح قد ازدهرت ازدهاراً لايوصف، و جعلت معظم رؤوس الأموال و الإمكانيّات بل الفنون و العلوم في خدمتها، و اجتذبت ميزانيّات طائلة لمصلحتها، تلك الميزانيّات التي كان بمستطاعها أن تعالج كثيراً من مشكلات البشريّة المظلومة، و تقضي علىٰ الفقر و البؤس و التشرّد إلىٰ حدٍّ كبير.

و ظهرت الاثنتان ـ الحرب و الآلات الحربيّة المدمّرة ـ في طريق البشريّة علىٰ يد أُولي الثروة و القوّة.

٤ ـ يجني الوصوليّون علىٰ الظاهرة الحيويّة المتمثّلة بالبيئة، و على سلامة مساكن الناس التي لامناصَ من صيانتها، فتسير نحو الدمار، و أنشأ تلويث البيئة المدمّر لها يزداد، و أخذت عناصرها و مصادرها و ذخائرها تتضاءل و تُستنزف، أو تتلوّث و تُقوَّض.

و هكذا نجد الىٰ جانب كلّ عظمة و تألّق، ضروباً من الشذوذ والمشاقّ المدمّرة القاصعة قد خيّمت على الحياة. و قد عَلَّمَ العلمُ الإنسانَ أشياءَ لكنّه لم يُنر له الطريق الصحيح للعَيش. و أبان اتّصال الظواهر المادّيّة و الكرة الارضيّة بسائر الكرات نوعاً مّاً، بيد أنّه لم يُحسّن اتّصال الناس بعضهم ببعض،

و اتّصالهم بمساكنهم، أي: ببيئتهم التي يستوطنونها. و بحث و نقّب في كثير من الموادّ و العناصر، إلّا أنّه لم يعلّم الإنسان كيف يستثمرها.

و لم يكن الإنسان يدمّر بيته بيده في أيّ عصر من العصور الخالية في التاريخ، غير أنّه دمّر هذه الكرة الجميلة و بيوت الناس جميعاً في عصرنا هذا. و وفقاً لرأى الخبراء فإنّ الأرض قد مُنيت اليومَ بأدواء الشَرَهَ والطماعية التي لاحدّلها للرأسماليّة العالميّة.

أجل، فإنّ العلم بلا هدىً من الله، والتقنيات الخالية من القيم المعنوية و الأخلاقية لن تتحف البشريّة إلّا بهذا الوضع المؤسف القائم الآن. من هنا، يتعيّن أن نعمل لازدهار التوجّهات المعنويّة في الأفكار، و نُدخل القيم الأخلاقيّة و الانسانية في أعماق بني الانسان جميعاً، و نجعل توجيهات القادة الربّانيّين توجيهات تربويّة في مناحي الحياة كلّها، و نستنير بمعاييرهم لتحسين الحياة.

والآن نجد، في هذا العصر الذي بلغت به الفوضى و الظلم و نضوب الإنسانيّة ذروتها، أنّ تعليم مبادئ القادة الربّانيّين و الإنسانيّين الكبار عمل ثمين خالد، و ممهّد للاتّجاه نحو القيم و الفضائل، و فيه تقدير للكرامة الإنسانيّة. من هنا، فانّنا نذكر في هذه الرسالة شَذْرات من كلمات إمام الإنسان العظيم عليّ بن موسىٰ الرضا«ع»، لتتعرّف الأجيال الصالحة الواعية علىٰ هذه الحقائق الإنسانيّة الناصعة، و تجعلها زاداً لها في حياتها القاتمة المتخلخلة.

و نصدّر ذلك بنبذة عن الإمام«ع» فنقول:

إنّ الإمام عليّ بن موسىٰ الرضا«ع» هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت«ع»، و هو ابن الامام موسىٰ بن جعفر«ع»، و الحفيد السادس للإمام عليّ بن أبي طالب«ع» و للسيّدة فاطمة الزهراء«س»، البنت الوحيدة

لرسول‌الله«ص». تولّى أعباء الإمامة و قيادة الشيعة في الخامسة و الثلاثين من عمره بعد استشهاد أبيه في سجن هارون العبّاسيّ. و كان فريد عصره في حمل علم النبيّ«ص»، و الإمام عليّ«ع» و تقواهما، و وحيد زمانه في معرفة حقائق الاسلام و القرآن.

و سلك الإمام«ع» الطريق الذي سلكه جميع الأنبياء و أوصيائهم، و سلكه آباؤه الطاهرون حتّى جدّهم رسول الله «ص»، و ذلك في عصر قيادته الذي تزامن مع مشكلات و مصاعب مُضنية، و رافقته تهديدات السلطات الحاكمة و إرهابها. و اضطلع بأعباء رسالةٍ حملها القادة الربّانيّون قاطبةً على طول التاريخ.

و يتلخّص الدور الأصليّ و الرسالة المبدئيّة للأنبياء، و من بعدهم أوصيائهم في مبدئين هما:

١ ـ الهداية العمليّة و الفكريّة للمجتمعات البشريّة و تنميتها و رفع مستواها المعنويّ.

٢ ـ الهداية العلميّة للإنسان و المجتمع و تطبيق المبادئ التي فيها صلاحهما و سعادتهما.

و يتحقّق المبدأ الأوّل في ظلّ تعليم مبادئ الوحي و نشرها و توعية جماهير الناس. أمّا المبدأ الثاني فيتحقّق من خلال إنشاء نظام اجتماعيّ و استلام الحكم.

و تيسّر المبدءان في السنين العشر الأخيرة من حياة النبيّ «ص»، و السنين الأربع الأخيرة من حياة الإمام علي«ع»، إذ تولّيا الهداية العلميّة و العمليّة للامّة. أمّا سائر الائمّة«ع» فلم يتيسّر لهم الحكم و الزعامة العمليّة للناس. و قد أُقصوا عن الخلافة و الإدارة الظاهريّة للمجتمع، لكنهّم تصدّوا للمبدأ الأوّل

و هو التعليم الصحيح للإسلام الأصيل و بثه و تبيان خطوط الأفكار القرآنيّة، و جعلوا ذلك هدفهم إذ شرحوا و فسّروا مبادئ القيم الأخلاقيّة و الإنسانيّة و أبعاد الحقائق الإسلاميّة بأساليب متنوّعة على الرغم من العقبات الجادّة التي وضعها حكّام زمانهم في طريقهم.

و تابعوا ثلاثة أهداف في منهاجهم و أسلوبهم، و هي:

١ ـ مكافحة طرق التعليم السيّئ و التحريفات التي كان الحكّام و أنصارهم يمارسونها. تلك الطرق التي كانت تضعف المبادئ و التعاليم الدينيّة المناهضة للظلم و استغلال حقوق الناس، و تُظهر النظام المدافع عن حقوق المحرومين و المستضعفين و الأنصار الحقيقيّين للعدالة الإجتماعيّة و كأنّه نظام دائم للحكومات الظالمة و الطبقات المترفة و أولي الثروة.

٢ ـ التمهيد لتلقّي المبادئ و التعاليم الإسلاميّة و فهمها فهماً صحيحاً بحيث تضعضع الحكومات غير الإسلاميّة، و تُعِدّ الأُمّة لتأسيس الحكومة العادلة و تطبيق العدالة الإجتماعيّة و إن بَعُدَ زمانها.

٢ ـ مقارعة الجهل و انعدام الوعي أو الانحراف الفكريّ و اعتساف الطريق، التي مُنيت بها الجماهير، من خلال تعليم القوانين و المعايير الإسلاميّة الإلهيّة الإنسانيّة و بثّها، و تعليم مبادئ الحياة الإلهيّة ـ الإنسانيّة الصحيحة.

و يعمد الكتاب إلىٰ تعريف المجتمع بهذه الحقائق الخالدة النابعة من الوحي و التعاليم السماويّة للأنبياء و معارف الدين الإسلاميّ. و قد بذل الإمام«ع» جهوداً لاتوصف في سبيل نشرها مادام حيّاً، و ذكر المحدّثون أنّه خلّف لنا قُرابة ثمانية عشر ألف حكمة و حديث ازدانت بها المصادر الإسلاميّة الأصيلة. و نحن نذكر في كتابنا هذا زُهاء خمسين حكمةً من حِكَم ذلك الإمام العظيم ـ بما يناسب حجمه ـ مع تفسيرٍ وجيزٍ لها.

و أنا آمل أن يستضيء بها الملتزمون المتحمّسون، و يـجعلوها مـصابيح منيرة في طريق حياتهم.

مشهد ـ محمّد حكيمي

١٤٣١/٨/١٥ هـ

١ ـ الدعاء

خاطب الإمام الرضا«ع» ربّه قائلاً: **اللّهمّ أنتَ ثقتي في كلّ كربٍ، و أنت رجائي في كلّ شدّة، و أنت لي في كلّ أمرٍ نزل بي ثِقةٌ و عُدَّة، كم من كَربٍ يضعُفُ عنه الفؤادُ، و تَقِلُّ فيه الحِيلةُ... و يـخذُلُ فـيه البـعيدُ و القـريبُ و الصديقُ، و يَشمُتُ فيه العدوّ، أنزلتُه بكَ، و شكوتُه إليك، راغباً إليك فيه عمّن سِواكَ، ففرّجتَه و كشفتَه و كَفَيْتَنيهِ. فأنتَ وليُّ كلّ نعمة، و صاحبُ كلّ حاجةٍ، و مُنتهىٰ كلّ رغبةٍ، فَلَكَ الحمدُ كثيراً...**[١]

تحظى الأدعية في تعاليم الأئمة«ع» بثقافةٍ غنيّةٍ جدّاً، ففيها أكثر مسائل التوحيد مبدئيّةً، و فيها التضرّع الىٰ الله سبحانه، و البعث و المعاد و مصير عمل الانسان، و معايير الحياة في هذه الدنيا، و الأساليب التـربوية و الأخـلاقيّة، و طرق الحـياة الاجـتماعيّة و الاقـتصادية، و سـائر الحـاجات الفـرديّة و الاجتماعيّة. و لغة الدعاء هي اللغة التي تعلّم الناس طريق العروج و التكامل المعنويّ، و نهج الحياة المادّيّة الفضلى في هذه الدنيا.

إنّ مطالعة كتب الأدعية كـ **«الصحيفة العلويّة»**، و **«الصحيفة السجّاديّة»** و **«الصحيفة الرّضويّة»**... تبيّن مدى هذا الموضوع حَسَـناً. و تـتولّد حـالة خاصّة و جوّ مناسب للتأثير و التغيير عند قراءة الدعـاء و الابـتهال الىٰ الله

---

١ ـ الصحيفة الرضويّة الجامعة: ٣٩.

سبحانه، ذلك أنّ الإنسان يعيش في تلك الحالة انفكاكاً و فـراغاً خـاصّاً، و يشعر برغبة كبيرة في المعنويّات و الإنسانيّات. و بالنظر إلىٰ هذه الأرضيّة، فانّ المعايير و المبادئ المعروضة في الأدعية تترك أثراً عميقاً في روح الإنسان و فكره، و تُؤثّلها في باطنه.

و جُمعت أدعية الإمام أبي الحسن عليّ بن موسىٰ الرضا«ع» في كـتاب عنوانه **«الصحيفة الرّضويّة الجامعة»**. و في خطبته التوحيديّة التي خطبها في مجلس المأمون نكات توحيديّة و كلاميّة في غاية العـمق، و هـي تـتطلّب دراسة علميّة فنيّة، و اكتفينا هنا ـ كما تستوعبه هذه الرسالة ـ بفقرات من دعاء واحد من أدعية الإمام«ع».

٢ ـ مدح النّبيّ «ص»

روىٰ الإمام الرضا«ع» عن آبائه«ع»، عن الإمام الحسن«ع» أنّه قال في مدح رسول‌الله«ص»:

... كان متواصِلَ الأحزان، دائمَ الفِكرة، ليست له راحةٌ، ولا يتكلّم في غير حاجة... يتكلّم بجوامع الكَلِم فصلاً لا فضولَ فيه و لا تقصير... فاذا تُعوطيَ الحقَّ لم يعرفه أحد، و لم يَقُم لِغَضَبِهِ شيء حتّى ينتصرَ له...

يُعطي كلَّ جُلَسائه نصيبه حتّى لا يحسبُ أحد من جلسائه أنّ أحداً أكرمُ عليه منه... من سأله حاجةً لم يرجع إلّا بها أو بميسورٍ من القول، قد وسع الناس خُلُقَه، و صار لهم أباً رحيماً، و صاروا عنده في الحقّ سواء...[1]

إنّ أسمىٰ مدحٍ للنّبيّ«ص»، ورد بعد القرآن الكريم، في أحاديث الأئمّة«ع». فقد تحدّثوا كثيراً في هذا المجال، و عرّفوا أبعاد شخصيّته«ص» بتعابير متنوّعة. و قدم الإمام عليّ«ع» في خطب كثيرة حفل بها «نهج‌البلاغة»، تصويراً رائعاً لشخصه الكريم«ص». و تحدّث الإمام الرضا«ع» عن سجاياه الإنسانيّة «ص» طويلاً، و نقلنا هنا شذرات منه.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ١: ٣١٧ و ٣١٨.

٣ ـ الاعتقاد بالله و المساواة الإنسانيّة

قال عبدالله بن الصلت: كنتُ مع الرضا«ع» في سفره إلىٰ خراسان، فـدعا يوماً بمائدةٍ له، فجمع عليها مواليه من السودان و غيرهم. فقلتُ: جُعلتُ فداك لو عزلتَ لهؤلاء مائدةً.

فقال: **مه إنّ الربّ تبارك و تعالىٰ واحد، و الأمّ واحدة، و الأب واحد، و الجزاءُ بالأعمال.**[١]

إنّ الإخوّة الإنسانيّة و المساواة أمل جميع دعاة الإنسانيّة و المـصلحين و الّذين يحملون هموم البشريّة و يفكّرون في علاجها. و كان الأنبياء و القادة الربّانيّون في طليعة هؤلاء. و إذا ترسّخ هذا المبدأ في أذهان الجميع، و وجد موضعه الحقيقيّ، فانّ هموم البشريّة و آلامها تُعالَج حقّاً، و تنتهي كلّ أنـواع التمييز، و الغنى و الفقر، و الصراع و النزاع، و المجتمعات المتقدّمة و المتخلّفة، و العالم الأوّل و الثاني و الثالث، و غيره ذلك من الفوارق غـير الإنسـانيّة، و يشعر الناس، باعتقادهم المبدئيّ بالله سبحانه، أنّهم يعيشون في عائلة واحدة، و يصبحون إخوة متساوين مهما كان لونهم و عِرقهم و منحدرهم، كما جاء في هذه الحكمة الرضويّة.

و قد زخرت التعاليم الإسلاميّة بتعبير «عيال الله» لكلّ النـاس، فـعلّمت

---

١ ـ الكافي ٨: ٢٣٠.

العالَم المساواة الإنسانيّة. قال رسول‌الله«ص»: **الخَلقُ كلّهم عيال الله، فأحبّهم الىٰ الله عزّ و جلّ أنفعهُمُ لعياله...**[١]

و تتمثّل رؤية الأديان السماويّة في أنّ أُمَّ الناس كلِّهم واحدة و أباهم واحد، و ربّهم و خالقهم واحد، و هو الله تبارك اسمه و تُحكّم هذه العقائدُ الوحدةَ و المساواةَ المبدئيّة الأصيلة جدّاً في العلاقات الانسانيّة على سطح الكرة الارضيّة، و توجِد التزامات كبيرة راسخة بين الناس، فيُصبح همّ كلّ واحدٍ منهم‌هو همّهم جميعاً، و تُحرق جذر الفوارق الاقتصاديّة، و الإجتماعيّة، و الثقافيّة، و السياسيّة، و تكوّن في الحقيقة أسرةً واحدةً من ولد آدم قاطبةً.

و لعلّ الفقرة الأخيرة من كلام الإمام الرّضا«ع» تشير إلىٰ أنّ أيّ مزيّة و قيمة عند بعض الأشخاص أو البلدان لاتعني امتيازاً و استعلاءً في هذه الدّنيا، لأنّها لاتُؤدّي إلىٰ تمييز و تفاوت في هذه الحياة. حتّى «التقوىٰ» و القيم المعنويّة فانّها امتيازات أُخرويّة و لعالم آخر. و كلّ شخص و كلّ شعبٍ في هذه الحياة، أيّاً كانت درجتهم و منزلتهم، متساوون مع الأشخاص و الشعوب الأُخرىٰ التي هي دونهم، ولا مزيّة لأحدٍ علىٰ آخر.

و رأينا في كلام الإمام«ع» أنّ إلغاء كلّ تمايز، و استعلاء، و أنّ المساواة المطلقة للناس قد نُسبا الىٰ العقيدة التوحيديّة في قوله«ع»: «مه إنّ الربّ واحد». أي: إذا كان الإيمان بالله الواحد، و كان الناس جميعاً عباده و مخلوقاته، و هو سبحانه العدل المطلق، و الحبّ اللامتناهي، و اللطف الذي لاحدّ له، فنظرته إلىٰ جميع مخلوقاته نظرة متساوية، و لاتمايز و لاتفاضل. و المزايا المعنويّة لايمكن أن تكون سبباً للتمييز بين الناس.

---

١ ـ بحارالانوار ١١٨:٩٦.

والآن، ألقوا نظرة علىٰ البلدان و الشعوب التي تحسب نفسها مؤمنةً بـالله تابعةً للسيّد المسيح«ع»، كيف تتصرف في العالم المـعاصر و كأنّـها فـارس الميدان بلامنازع، و تنظر إلىٰ الشعوب الأُخرىٰ نظرة ازدراء و كأنّها لاشيء، و تمارس علاقاتها بنَفَسٍ سلطويّ أنانيّ. و تُبيح التمييز حتّى في العلم و التقنية أيضاً. و هذه أساليب لاتنسجم مع الإيمان بالله و اتّباع أنبيائة«ع». و الشيء العُجاب هو سكوت علمائهم عن جميع هذه الهمجيّة، و الأنكى أنّهم يؤيّدونها.

٤ ـ التعقّل

قال الإمام الرضا«ع»: **صديقُ كلِّ امرءٍ عقلُه، و عدوّه جهلُهُ.**[١]

العقل الحقيقيّ نور في كيان الإنسان إذ يعرّفه بالحقيقة العليا للوجود، و هو الخالق سبحانه و تعالىٰ و يلفت نظره إليه، و يزهّده عن غيره.

و عدّته بعض التعاليم الإسلاميّة نبياً باطنيّاً. فقد قال الإمام الصادق«ع»: **حجة الله علىٰ العباد النبيّ، و الحجّة فيما بين العباد و بين الله العقل.**[٢]

نقرأ في الحكمة الرضويّة السالفة أنّ أعزَّ جزءٍ و أكرم جوهر في وجود الإنسان هو العقل. و مع جميع عظمة الإنسان و العجب من خلقه برمّته فانّ الله سبحانه يُدِلّ عليه بالعقل الذي منّ به عليه، و هو أسمىٰ جوهرة منحها إيّاه، فالاستهداء بهذه الجوهرة الفذّة هو البدء في استعمالها في كلّ عمل، و في كلّ تحرّك فرديّ أو اجتماعيّ، و في كلّ مجال مناسب. ثمّ المعرفة والتقويم، و تحليل الموضوع في كلّ أرجائه، و النظر إلىٰ مجالاته و أسبابه و نتائجه بدقّة و عمق، لتُنجَز الأعمال متّزنةً مدروسةً ولاتُنجز بسَفَهٍو بلا تقويم.

و تُثير الغرائز في حياة الإنسان حياته الحيوانيّة، و يُدير العقل تلك الغرائز و الميول البشريّة، و يردعها عن جُماحها و دمارها. و العقل إنسان يقول: استثمر كلّ غريزة و رغبةَ بنحوٍ صحيحٍ و بمقدار. من هنا فالواضح البيّن هو من

---

١ ـ أُصول الكافي ١:١١.

٢ ـ نفسه ١:٢٥.

الصديق و من العدوّ في وجود الإنسان.

إنّ الأهواء و الغرائز الحيوانيّة غير المدروسة تُسقط الإنسان ماديّاً و معنويّاً. أمّا العقل و المعلومات العقليّة فانّها تجعل كلّ شيء في وجود الإنسان في طريقه السليم و الصحيح. و هذا هو الخليل الحقيقيّ.

«فالمائز الرئيس للإنسان هو العقل و الوعي و الأعمال الصادرة عنهما. و بتلك الأعمال يَتسنّى له أن يطوّر التاريخ، و يبني المجتمع، و يملأ الحياة علىٰ هدى الأهداف الكريمة، و أن يهيمن على الغرائز الشخصيّة و الإجتماعيّة، و يغيّر الظروف باتّجاه الخير و الحكمة و الصلاح».[1]

و أُثِر في كلام للإمام عليّ«ع» أنّ فقد العقل هو فقد الحياة.[2]

---

١ ـ الحياة، ١:٢٤٦.

٢ ـ أصول الكافي ١:٢٧.

٥ ـ العلم هو المحور

روىٰ الإمام الرضا«ع» عن النبيّ«ص» أنّه قال: **العلم إمام العمل.**[١]

لاريب في أنّ المعرفة والوعي اللازم ضروريّان قبل كلّ عمل. و بدونهما يكون الإنسان كخابط ليلٍ.

و أعمال الناس قسمان:

١ ـ الأعمال التي محورها العلم و الوعي. و تُمارَس بعد المعرفة والتقويمات اللازمة الشاملة.

٢ ـ الأعمال العشوائيّة، و التحرّكات العاطفيّة الصادرة بلا تقويم و لا تحليل.

و من البيّن أنّ الأعمال المقرونة بالمعرفة الصحيحة و التحليل اللازم تبلغ الهدف، و تُعطي النتائج المرجوّة. و الأعمال النابعة من المعرفة و الوعي هي أعمال راسخة و مفيدة و ذات معايير مطلوبة. أمّا الأعمال التي لاتُنجَز عن دراسة و تحليل مفروضَين، فهي غير ذي نتيجة صائبة، و لا تقرّب الإنسان من هدفه. من هنا، فالأعمال الصحيحة الثمينة هي الأعمال التي تدرس جميع المجالات و الظروف و الجوانب ـ في أيّ مجالٍ كانت ـ و يكون لها توجيه فنّي و علميّ.

---

١ ـ عدة الداعي: ٦٤؛ الحياة ١:١٢٨.

٦ ـ معرفة النفس

قال الإمام الرضا«ع»: **أفضل العقل معرفةُ الإنسانِ نفسَه.**[١]

معرفة النفس أساس معرفة الله سبحانه، كما جاء في حديث نبويّ شريف: **من عرف نفسه فقد عرف ربّه.**[٢]

و هذا يعني أنّ النفس جوهرة فوق المادّة، و المعرفة العلميّة و الاستدلاليّة، أو رؤيتها و لمسها تُثبت هذه الحقيقة فوق المادّيّة، و هي آية عظمىٰ علىٰ الاعتقاد بالله تعالىٰ.

ثمّ إنّ معرفة الإنسان قدرته و قواه و تقويمها تمكّنه من العيش في أُسرة و مجتمع صحيح و معقول. و تجعله يخطو خطوات مدروسة في شتّى مناحي الحياة، فيقوم بأعمال و اتّصالات يقدر عليها، و يحضر في أوساط يستطيع أن يؤدّي فيها دوراً، أو تكون له فيها رسالة.

و كذلك إذا كانت معرفة النفس بشكل نوعيّ، فانّها تُفضي إلىٰ معرفة جميع الأشخاص في المجتمع، لأنّنا كلّما عرفنا أنفسنا بشكل نوعيّ، عرفنا سائر الناس و خصائصهم.

الجهة الرابعة في ضرورة معرفة النفس أيضاً هي معرفة قدراتها و نقاط قوّتها، و معرفة عجزها و نقاط ضعفها. و هذه المعرفة و التقويم يمهّدان لتزكية

---

١ ـ بحارالأنوار ٣٥٢:٧٢.

٢ ـ الحياة ١٢٦:١.

النفس، و تنمية نقاط قوّتها، و إزالة نقاط ضعفها و عجزها.

«الشرط الاوّل لبناء النفس و تهذيبها و تكميلها هو معرفتها، لأنّ الإنسان ما لم يعرف نفسه بقيمها الوجوديّة، و مواهبها العالية، و استعداداتها الباطنة، لم يَسْعَ لتربيتها و تقويتها و إبرازها إلىٰ مرحلة الفعليّة، و لم يجتهد للإستمتاع بها، حيث إنّ الإنسان لايسعىٰ لشيءٍ إلّا بمقدار ما يعرف من ذلك الشيء و من قيمه. و علىٰ هذا، فكم و كم من مواهب و قدرات و استعدادات لم تُمدّ إليها كفّ، و لم تحصل منها فائدة، لأنّها لم تُعرَف و لم تَكشَف، فبقيت في زوايا المجهول، و عُدمت تدريجاً.»[1]

---

١ ـ الحياة ١: ٢٦٢.

٧ ـ معرفة الزمان

قال الإمام الرضا«ع»: قال أبو جعفر«ع»: **في حكمة آل داوود: ينبغي للمسلم أن يكون مالكاً لنفسه، مقبلاً علىٰ شأنه، عارفاً بأهل زمانه.**[١]

أشار كلام الإمام«ع» إلىٰ ثلاثة موضوعات حيويّةٍ، و هي:

١ ـ ضبط النفس، و السيطرة علىٰ ميولها و أهوائها. و هذا الموضوع هو الأرضية الأصليّة لكلّ تربية و أخلاق إنسانيّة.

٢ ـ الالتزام بالنسبة إلىٰ نفسه، و هو طريق تزكية النفس، و الأرضيّة المناسبة لنموّ المواهب الفرديّة، و الطاقات الإنسانيّة المودعة فيه بالقوّة.

٣ ـ معرفة الزمان. و هو يهيّىء إمكانيّة معرفة الناس، و التطوّرات الزمنيّة، و الاستعداد للطوارئ، و معرفة الحياة، و الإداراة المنطقيّة للأزمات.

إنّ الزّمان أرضيةٌ مناسبه لنموّ الإنسان و تكامله، و هو الذي يصنع خصائص الأجيال و الشعوب، و هو الأساس لتمييز الماضين و الحاضرين و الذين يأتون في المستقبل. من هنا، إنّ معرفة الزمان و اكتشاف خصائص كلّ فترة ضروريّان لمعرفة الناس و معرفة التطوّرات الثقافيّة و الاقتصاديّة و السياسيّة، و غيرها.

و ينبغي أن يُعرَف الناس في قابليّاتهم الذاتيّة و الزمنيّة و الجغرافيّة، ليكون العلم بهم أعمق، و الحياة معهم أسهل، و العلاقات و التقارب أكثر مبدئيّةً.

---

١ ـ أصول الكافي ٢: ٢٢٤.

٨ ـ العلاقات الإ جتماعيّة علىٰ أساس المعرفة

قال الإمام الرضا«ع»: ... **العلم أجمع لأهله من الآباء.**[١]

يجب أن تقترن علاقات الأشخاص في المجتمع الصغير، أي: الأُسرة، و المجتمع الكبير أي المدن و البلدان، بمعرفة الناس، و القيمة و الكرامة الإنسانيّة للأشخاص، و معرفة حقوقهم، و العلم بما يجب عمله معهم. و كلّما اقترن التقارب و العلاقات الاجتماعيّة بهذه المعرفة، و تحقّق إدراك الناس بعضهم لبعض، تبلورت العلاقات الإجتماعيّة بصورة واعية، و أصبحت راسخةً و غير قابلة للانقطاع، و ظهر المجتمع، مع جميع الفوارق الفرديّة و الخصائص الشخصيّة، قطعةً واحدةً، و وقف أمام الحوادث كالسدّ الفولاذيّ.

«إنّ وحدة الناس الشعوريّة و نهضاتهم الإجتماعيّة المنسجمة و البنّاءة انّما هي رهينة المعرفة و الوعي. و انّ العلم و الوعي و البصيرة و المعرفة هي أُمور تحفظ للناس وحدتهم ـ بل تصنعها ـ و توصلهم إلىٰ غايات سامية.»[٢]

و إذا كانت المعرفة في مجتمع الأُسرة الصغير مبدئيّة و متبادلة، و عرف كلّ زوج القيمة الإنسانية و حقوق الزوجيّة جيّداً، خَلُدت الأُسرة، و سلمت من الانحلال و التفسّخ.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع»: ٢:١٣١.

٢ ـ الحياة ١:١٧٩.

٩ ـ المسؤوليّات الإجتماعيّة

قال الإمام الرضا«ع»: ... **لأنّ الله تبارك و تعالىٰ كلّف أهل الصّحّة القيام بشأن أهل الزمانة و البلوىٰ...**[١]

لقد أكّد الإسلام و التعاليم الرضويّة كثيراً مبدأ معرفة الالتزام و قبول المسؤوليّة الذي هو من التعاليم الأساسيّة لجميع الأديان السماويّة. بخاصّه في العلاقات الاقتصاديّة، و مكافحة الحرمان، و مساعدة البائسين و المساكين و الفقراء.

و جاء كلام الإمام«ع» مقروناً بأداة التوكيد و أُسلوبه قاطع و راسخ. و وردت هذه الحكمة الرّضويّة بنحو أشمل في الحديث النبويّ المعروف الّذي تنقله جميع الفرق الإسلاميّة، و هو قوله«ص»: **كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته.**[٢]

هذه المسؤوليّة التي هي فرض إلهيّ لا تعرف حدّاً، و إنّما تتحدّد بحدّين:

١ ـ أمّا المساعد و المعين، فحدّه، كسائر التكاليف و الواجبات جميعاً، الإمكانيّة و الإستطاعة، فعليه أن يمدّ يدالعون و المساعدة مادام مستطيعاً.

٢ ـ و أمّا العاجز و المسكين، فحدّه، وجود العجز و المسكنة، فالتكليف قائم ما قامت المشكلة إلىٰ أن يبلغ الشخص المذكور المجتمع و الحياة الاجتماعيّة المعقولة.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:٨٩.

٢ ـ إرشاد القلوب: ٢٥٧.

١٠ ـ التقيّد بالقانون و قبول التقييد

قال الإمام الرضا«ع»: **إذا فعل الناسُ هذه الأشياء (المنهيّات)، و ارتكب كلّ إنسانٍ ما يشتهي و يهواهُ، من غير مراقبة لأحد، كان في ذلك فساد الخلق أجمعين.**[١]

علىٰ الإنسان، في عمله الفرديّ والجماعيّ، أن يتبنّىٰ مبادئ و معايير معيّنة، و يخضع للحقّ و الحقوق، فلا هو يضيع و يهلك، و لا المجتمع يُمنى بالفوضى و البلبلة و الانحلال.

و علىٰ مستوىٰ المعيشة الفرديّة، إذا لم يوضع حدّ لكثيرٍ من الأعمال، و السلوكيّات، و الرغبات و النزعات، و العائدات، و المصاريف، و الاستهلاكات، فانّ الإنسان يفقد صحّته، و يؤول أمره إلى الهلاك و العدم بسبب الإسراف المفرط.

أمّا علىٰ مستوىٰ المجتمع و العلاقات الجماعيّة فنلحظ أنّ ضرورة مبدأ معرفة الحدّ أوضح، لأنّ الناس في المجتمع يواجهون إشارات ضوئية حُمر كثيرة دائماً، فعليهم حفظ حرمتها، و قبول هذه الخطوط الحُمر بكلّ وجودهم. و أوّل القيود و أعلاها حقوق الآخرين التي يتعيّن أن تحكم الحقوق الفرديّة و المطالب و الرغبات الفرديّة، و تحول دون قيام الأشخاص بأيٍّ عمل و بأيّ أُسلوب يريدونه، و إن كان بلسان الآخرين، أو بإضاعة حقوق أُناس غيرهم.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:٩٩.

من هنا، فانّ جميع الحرّيات تتحدّد بحرّيّة المجتمع و حقوقه. و يكمن دور الحكومات و سبب ضرورتها في حؤولها دون الاعتداء و الانتهاك، و ضبط السلوك الكيفيّ للأشخاص، حتّى إنّها تحافظ علىٰ حقوق الأشخاص و المجتمع بعد إزاحة بعض الأشخاص غير الملتزمين.

ففي ضوء هذه الحكمة الرضويّة، يتعيّن علىٰ الإنسان الممارس للنشاطات الاقتصاديّة، و السياسيّة، و الثقافيّة، و العائليّة، بل لسلوكه الخاص أن يخضع للضوابط، و يتجنّب صلافة الأنانيّين و مطامعهم، لينتظم المجتمع كما ينبغي، و تُكرَّم الحقوق و الحريّات المنطقيّة.

١١ ـ السلوك الإنسانيّ مع جميع الأشخاص

قال الإمام الرضا«ع»: قال رسول الله«ص»: **رأس العقل بعد الإيمان بالله التودّد إلىٰ الناس، و اصطناع الخير إلىٰ كلّ برّ و فاجر.**[١]

السلوك الإنسانيّ مع جميع الناس و جميع المواطنين نظام رضويّ سواءً كانوا أبراراً، أم فجّاراً؛ صالحين ملتزمين شاعرين بمسئوليّتهم، أم طالحين غير ملتزمين و ذوي سيرةٍ سيّئة، فيجب أن يكون السلوك إنسانيّاً مع الجميع.

و على الإنسان أن يُثبت إنسانيّته في علاقاته الجماعيّة و في المجتمع، و أن يكون سلوكه إنسانيّاً مع الجميع علىٰ أساس إنسانيّته.

أي: إنّ الميزان و الملاك السلوكيّ و منهج السلوك الاجتماعيّ إنسانيّة الإنسان، لاسلوك الآخرين و نهجهم. من هنا، ينبغي أن لانبخل على الآخرين بسلوكنا الحسن لِما هم عليه من اعوجاج و انحراف و شذوذ في السلوك. و كم من سلوكٍ إنسانيّ نَبَّهَ الّذين لايحملون صفة الإنسانيّة، و أيقظهم و وعّاهم، و أشعرهم بخطئهم. و هذا السلوك يمكن أن يكون معلِّم المبادئ الإنسانيّة و موسّع نطاق الإنسانيّات.

و نلحظ في كلامٍ للإمام الحسين«ع» أنّه يُشبّه العمل الإنسانيّ الحسن بقطرات الندىٰ الربيعيّة التي تمطر جميع البلدان و الأراضي الصخريّة،

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:٢٥.

و لا تبخل بقطرةٍ على حجر، أو صخرة و أرض سبخةٍ، أو وادٍ غير ذي زرعٍ.

قال عنده رجل: إنّ المعروف إذا أُسدي إلىٰ غير أهله ضاع. فقال«ع»: **ليس كذلك، و لكن تكون الصنيعة مثل و ابل المطر تصيب البرّ و الفاجر.**[1]

---

١ ـ تحف العقول: ١٧٥.

١٢ ـ حقوق الإخوّة

قال الإمـام الرضـا«ع»: **اعـلم أنّ حـقّ الإخـوان واجبٌ فـرضٌ... و ابـذلوا النفوس و الأموال دونهم... و مواساتهم و مساواتهم في كلّ ما يجوز فيه المساواة و المواساة.**[١]

إنّ أعلىٰ المسؤوليّات و أعمق الالتزامات الإنسانيّة بعد المسؤوليّة أمام الله سبحانه و نبيّه«ص» و الأئمّة، المسؤوليّة أمام الإخوة في الإنسانيّة و الدين، و الإذعان بحقوقهم، و ذلك يستوي على سوقه من الجذر الأصـليّ للـعقيدة بالله. وشعّ مبدأ الإخوّة في الإسلام من القرآن الكريم. قال تعالى: **إنّما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم.**[٢]

و أكّدت الأحاديث النبويّة و العلوية و أمثالها هذا المبدأ كثيراً.

و تحدّث الإمام الصادق«ع» عن كيفيّة علاقة الإخوّة حـديثاً يـقف مـع الحكمة الرضويّة على مستقيمٍ واحدٍ.

قال«ع»: **لا والله! لايكون (المؤمن) مؤمناً أبداً حتّى يكون لأخيه مثل الجسد، إذا ضُرب عليه عِرق واحد، تداعت له سائر عروقه.**[٣]

و استلهم الشاعر الفارسيّ الشهير سعدي هذه الأحاديث، و أنشد شـعره

---

١ ـ بحارالانوار ٧٤:٢٢٦ و ٢٢٧.

٢ ـ الحجرات: ١٠.

٣ ـ الحياة ١:٤٢٢؛ بحارالأنوار ٧٤:٢٢٣.

العالميّ المعروف القائل: [ما تعريبه:] «بنو آدم كالجسد الواحد»، أو «النـاس أعضاء في جسدٍ واحد».

١٣ ـ التقدير في المعيشة

قال الإمام الرضا«ع»: **لايستمكل عبدٌ حقيقةً الإيمان حتّى تكون فيه خصالٌ ثلاث: التفقّه في الدين، و حُسن التقدير في المعيشة، و الصبر علىٰ الرزايا.**[١]

وكثر تعبير «التقدير في المعيشة» في التعاليم الإسلاميّة. و هو يعني التقدير و العمل المحسوب و المدروس في المصاريف، و شؤون العيش، و إيجاد التوازن بين الحاجات و العائدات، كما في الاجتماع على مائدة، و شراء ملابس، أو بيت، أو سيّارة...

و هذا المبدأ الحيويّ، أي: التقدير في المعيشة ينطبق أيضاً على إنشاء معمل، أو شقّ طريق، أو أيّ استثمار كبير أو صغير. و تعبّر هذه الحكمة الرضويّة عن مبدأ المحاسبة الدقيقة و التقويم الفنّي في جميع المصاريف الاقتصاديّة.

و أوضحها و أشدّها ضرورةً رؤوس الأموال الوطنيّة و بيت مال المسلمين الذي يجب أن يصرف باحتياط و دقّة بالغة في الحالات التي تنهض به نحو التنمية و التطوّر.

و جاء هذا الموضوع في كلام الإمام الرضا«ع» إلىٰ جانب موضوعين

---

١ ـ تحف العقول: ٢٢٩.

مصيريّين في غاية الأهمّية، و هما «التفقّه في الدين»، «والصّبر على الرزايا». و لاشكّ في دورهما المحوريّ في الحياة، بنحوٍ يستبين فيه الدور الحيويّ لمبدأ «التقدير في المعيشة».

١٤ ـ القيمة الحيويّة للماء

سُئل الإمام الرضا«ع» عن طعم الخبز و الماء، فقال: **طعم الماء طعم الحياة، و طعم الخبز طعمُ العَيشِ.**[١]

ألقى هذا الكلام نظرةً مبدئيّةً عميقة على قضيّة من قضايا الحياة الإنسانيّة إذ بيّن طعم الماء و طعم الخبز. و عدّ طعم الماء طعم الحياة، و طعم الخبز طعم العيش. ولاريب في أنّ طعم الماء هو طعم الحياة، و أنّ الحياة قائمة علىٰ الماء، لأنّ الماء هو العنصر الأصليّ لتشكيل الحياة و الشرط الضروريّ لاستمرارها. و القسم الأعظم من حياة الكائنات، بخاصّة النباتات، و الحيوانات، و الإنسان هو الماء.

و طعم الخبز هو طعم العيش مبدأ لا يقبل الشكّ أيضاً، إذ لا يستطيع الإنسان أن يعيش بلاطعام، و للخبز هذا الدور بوصفه المادّة الغذائيّة الأساسيّة، و رمز الأطعمة.

و استبان اليوم جيّداً القيمة الحيويّة للمياه الحلوة، بل ذهب المتخصّصون في الشؤون الإقتصاديّة و الاجتماعيّة إلىٰ أنّ صراعات القرن الحادي و العشرين و منازعاته ستكون علىٰ تلك المياه.

والموضوع المهمّ بشأن هذه المادّة الحيويّة هو أُسلوب الناس في

---

١ ـ الحياة٣:٢٢٨.

استعمالها. فإذا كان الاستعمال ـ بخاصّة في المناطق الجافّة و شبه الجافّة ـ منطقيّاً صحيحاً، تسنّى تلبية الحاجات البشريّة، و إلّا فانّ مشكلات جادّة ستواجه الناس. و في المياة المستعملة للزراعة، يتعيّن الاهتمام بهذا الأصل الحيويّ، و الاستفادة من المياه بكلّ قطراتها بالنحو الأفضل، و تُستبدل المياه الفنّية و العلميّة (التقطيريّة و مياه الأمطار) بالمياه التقليديّة و العميقة لسدّ الحاجات. و يمكن أن تضمن هذه الحكمة الرضويّة، كإطار عامّ، السياسة المنطقيّة للاستعمال الصحيح للماء، و تحلّ مشاكل الناس، و تذكّرهم بأنّ كلّ قطرة ماء يهدرونها، فإنّهم يقضون علىٰ قسمٍ من حياة عامّة.

إنّ رعاية الاقتصاد في استعمال الماء في مجتمعنا الدينيّ، لاسيّما في مدينتنا المقدّسة إذ نجاور الإمام الرضا«ع»، عمل يُرضي الخالق سبحانه و خَلقه. و إنّ لبثّ كلام الأئمّة«ع» أثراً عميقاً في سلوك الناس، و يمكن أن يعالج قسماً من مشكلة شحّة المياه.

١٥ ـ الاستعمال الأفضل للمال

قال الإمام الرضا«ع»: ... **إنّ الله يُبغض... إضاعةَ المال.**[١]

إنّ الاستعمال الصحيح المنطقيّ للأموال مبدأ إسلاميّ عقليّ اقتصاديّ. و يجب أن يكون كلّ تشغيل للأموال، أو إنتاجٍ، أو توزيع، أو استهلاك في إطار الاستثمار الأفضل و بتوجيه اقتصاديّ. و يحتاج هذا الموضوع إلىٰ محاسبة و تخطيط مبدئيّ، و إدارة اقتصاديّة ـ تخصّصيّة فنّيّة، و إلّا تُهدَر الأموال، أو لاتكون لها العائدات المطلوبة، فإذا كان في الاستهلاك، فانّه استهلاك إضافيّ و مسرف، و إذا كان في التوزيع، فالتوزيع غيرعادل و يضرّ عامّة الناس، و هذا نفسه نوع من إضاعة الأموال و إتلافها، لأنّ الأموال لاتُصرَف في الموضع المناسب، و تتراكم في قسم من الأقسام، و تُصبح في جسد المجتمع كالغدّة السرطانيّة. و يُمنى بعضها بالضعف و العجز و التلف. و هذا كلّه تضييع للمال. ولو لم تكن حسابات دقيقة و إدارات خبيرة و ملتزمة في الأعمال، زاد تضييعها، وأتلف رؤوس أموال وطنيّة كثيرة.

و نضرب مثالاً هنا من أجل أن يستبين هذا المبدأ المحوريّ أكثر و يكون عمليّاً: إذا كانت عشرُ سيّارات كافيةً لدائرة من الدوائر، و كان فيها خمس عشرة سيّارة، فهذا إهدار للمال. و إذا سدّت السيّارات الرخيصة الحاجات

---

١ ـ تحف العقول: ٣٢٦؛ مسند الإمام الرضا«ع» ١: ٢٨٥.

و نظمت الأعمال، فانّ شراء السيّارات الغالية الفخمة إهدار للمال.

و كذلك الأمر في الحياة الخاصّة و الأموال الفرديّة. و من هذا المثال يمكن أن نقف على آلاف الأمثلة من إضاعة الأموال في الحياة الفرديّة و الجماعيّة. و يرشدنا الإمام العظيم للإنسان إلىٰ أنّ الله تعالىٰ يُبغض هذا العمل الاقتصاديّ، و يلفت نظر أولي الإيمان الصادق و العقيدة الحقيقيّة بالله سبحانه إلىٰ أن لا يفعلوا ما يُبغض ربّهم جلّ شأنه و يَقليه.

١٦ ـ الفقر هو البلبلة الكبرىٰ

قال الإمام الرضا«ع»: **المسكنة مفتاح البؤس.**[١]

إنّ دراسة المشكلات الإجتماعيّة، و أسباب الفوضى و القلاقل تبيّن لنا أنّ الفقر هو أساس المشكلات الإجتماعيّة، و الإضطرابات الموجودة في الحياة الفرديّة و العائليّة و الإجتماعيّة. ولاريب أنّ الإنسان في هذه الحياة يعيش في جسم يتكوّن من المواد الطبيعيّة، و يشتغل بأشياء معيّنة، و يحيا في وسطٍ يحتاج إلىٰ الوسائل و السلع المادّيّة. فالطعام، و اللباس، و السكن، و النظافة، و المرض، و الصحّة، و غيرها كلّها موجودة في طبيعة هذا الحياة، و هي شرط لاستمرارها. و فقدانها أو نقصها يؤدّي إلىٰ العجز، و المرض، و استنزاف القوىٰ و الهرم المبكّر، أو إلىٰ الموت و الهلاك. و هذه الظاهرة مفتاح الفوضى و المشكلات الفرديّة و الإجتماعيّة حقّاً.

و ذكر الإمام الرضا«ع» الفقر في كلام آخر، فقال: ... **إذا أقبلتِ الدّنيا على إنسانٍ أعطته محاسن غيره، و إذا أدبرت عنه سلبته محاسنَ نفسه.**[٢]

و تعود حياة الإنسان إلىٰ شخصيّته، و القاعدة و المحور الأصلي لتأثير كلّ إنسان و موقفه هو كيانه و طبيعته و شخصيّته. من هنا، فإنّ إلغاء الشخصيّة أضرّ

---

١ ـ بحارالأنوار ٧٨:٣٥٣.

٢ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:١٣٠.

من إلغاء الشخص كثيراً. و اعتبر كلام الإمام«ع» الفقر سبباً لإلغاء الشخصيّة، و هو ما يُمنىٰ به الإنسان الفقير، و يفقد نقاط كيانه الإيجابيّة، أو لا يُبصرها؛ لأنّه يُصاب بعقدة النقص و الحقارة (استصغار نفسه).

و جاء في التعاليم الإسلاميّة أنّ الفقر «أسوء من القتل»[1]، أو «الفقر هو الموت الأكبر».[2] و يمكن أن يكون إلغاء الشخص و إلغاء الشخصيّة كلاهما مقصوداً في هذه الأحاديث، و هما من آثار الفقر و المسكنة.

---

١ ـ **بحارالأنوار** ٤٧:٧٢، حديث نبويّ شريف.

٢ ـ **نهج‌البلاغه**: ١١٦٦، كلام الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع».

١٧ ـ سرّ وجوب الصوم

قال الإمام الرضا«ع»: ... **و علّة الصوم، لعِرفانِ مَسِّ الجُوع و العَطَش... لِيَعلم شِدَّة مبلغ ذلك من أهل الفقر و المسكنة في الدنيا و الآخرة.**[١]

إنّ الصوم، مضافاً إلىٰ معطياته المعنويّة و التربويّة و فوائده الفردية والاجتماعية الكثيرة، يؤدّي الىٰ تنامي الشعور بالآخرين، و عاطفة حبّهم، وإعانة البائسين. و يؤكّد الإمام«ع» في الكلام المذكور هذا المحور التربويّ للصوم إذ يمكن للإنسان في حال جوعه و عطشه أن يشعر جيّداً بحالة البائسين و المساكين، و يلمس الضغط القارع للجوع و المسكنة.

و يحاول عددٌ من الناشطين أن يوسّعوا نطاق حبّ الآخرين في أرجاء المجتمع، و يصوّروا الوضع العصيب لحياة البائسين في منظار الناس من خلال كتابة الروايات، و صنع الأفلام، و نشر الصور و الملصقات الجداريّة و أنواع الدعايات. و للصوم في هذا المضمار دورٌ مبدئيٌّ جدّاً، فهو ينمّي الالتزام و تقبّل الواجب عند الإنسان بالإضافة الىٰ تنمية معنويّته.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:٩١.

١٨ ـ النموذج المثاليّ للاستهلاك

قال أحد أصحاب الإمام الرضا«ع»: ... **استأذنت الرضا«ع» في النّفقة على العيال؟**

فقال: بين المكروهَين. فقلتُ: جُعلتُ فداك لا والله ما أعرفُ المكروهَين. فقال له: اَما تعرف اَنّ الله ـ عزّ و جلّ ـ كَرِه الإسراف و كَرِه الإقتار.

فقال: (والذين إذا أنفقوا لم يُسرفوا و لم يَقتُروا و كان بين ذلك قواما[1]).[2]

لقد تورّطت البشريّة هذا اليوم في هاوية الاستهلاك الرأسماليّ، و استغلّ الرأسماليّون و مراكز القوّة الاقتصاديّة جميع الوسائل الإعلاميّة ليشجّعوا الناس علىٰ استهلاك بضائعهم و منتجاتهم، و يسيطروهم علىٰ أذواق الناس.

و نتيجة هذا الاستهلاك تشكيل المجتمعات الطبقيّة، و ظهور الفقر و العُدم من جهة، و الغنى و الثراء من جهة أُخرىٰ.

والنتيجة المشؤومة الأخرى له شحّة المصادر أو نفادها، و محق البيئة، و تلوّث المياه، و تلف الغابات و المراتع، و زوال النباتات و الحيوانات.

و أهمُّ من ذلك كلّه فقدان الناس صحّتهم و سلامتهم بسبب الاستهلاك الكثير للبروتينات، و الدهنيّات و السّكريّات، و اللحوم الحُمر، و أنواع

---

١ ـ الفرقان: ٦٧.

٢ ـ الحياة ٤: ٢٠٥.

الأطعمة، و التورّط بأغلال الحياة الكماليّة و الإترافيّة. و هذه كلّها تهدّد سلامة الإنسان و المجتمع و بقاء المصادر الطبيعيّة، و سلامة البيئة، و تعرّضها للخطر. من هنا، فإنّ تقديم الأسلوب المعتدل للاستهلاك البعيد عن الإفراط، و ترسيخ ذلك في ثقافة المجتمع أمرٌ حيويّ، و أفضل الحلول لذلك هو التعاليم الدينيّة، و توجيهات القادة الربّانيّين بسبب وجاهتهم العميقة.

١٩ ـ استثمار جميع الموادّ

قال الإمام الرضا«ع»: **من الفَسادِ قطعُ الدِّرهَم و الدّينار، و طرح النوىٰ.**[١]

أدانت التعاليم الرضويّة إضاعة الأموال و إتلافها. و أُشير هنا إلىٰ مثالَين:

١ ـ استعمال العُملة المتداولة في المجتمع بلارقابة و لارعاية.

٢ ـ طرح و إلقاء نواة التمر (و كلّ شيءٍ صالح للاستعمال و الإعادة) كِلا المثالَين مشكلةٌ اقتصاديّةٌ مهمّةٌ في المجتمعات. فالعُملة المتداولة مُكلِفة جدّاً، المعدنيّة منها و الورقيّة. و تُصرف أموال وطنيّة طائلة من أجل سَكّ العُملة أو طبعها لتكون في متناول أيدي الناس.

و تُضاعف المحافظة عليها عمرها، و تحول دون صرف أموالٍ جديدة.

والموضوع الآخر هو استثمار كلّ شيء صالح للاستثمار، و إعادته إلىٰ عجلة الإستهلاك و الحياة. و هذا مبدأٌ عقليّ ورد في التعاليم الإسلاميّة و أكّدتهُ كلمات الإمام الرضا«ع». و من منظار الأُسس الفقهيّة، و المفهوم العامّ للأحاديث، فإنّ كلمة «النوىٰ» ليست وحدها مقصودةً، كما أنّ مفهومها العامّ غير محدود.

إنّ كلمات الأئمّة«ع» يبيّنُ كلٌّ منها حدود مفهومٍ عامٍّ آخر.

قال الإمام الصادق«ع»: **إنّ القصد أمرٌ يُحبّهُ الله ـ عزّوجلّ ـ و إنّ السّرف أمرٌ**

---

١ ـ مسند الإمام الرضا«ع» ٢: ٣١٤.

يُبغضه الله ـ عزّوجلّ ـ حتّى طرحك النواة فانّها تصلح لشيء، و حتّى صَبَّكَ فضلَ شرابِك.[١]

بيّن كلام الإمام«ع» سبب الحكم، و هو «فإنّها تصلح لشيء» فحيثما كان السبب كان ذلك الحكم موجوداً أيضاً.

من هنا، كلّ شيءٍ كان مفيداً لعملٍ ما، و أمكن إعادته بنحوٍ من الأنحاء، ينبغي أن يُسْتثمَر، و يؤكّد ضرورة إعادة الموادّ. و هذا الموضوع قد طُبّق في البلدان المتقدّمة، أمّا في بلدنا فلم يطبّق بعدُ ولم يتّخذ طابعه كثقافةٍ عامّةٍ.

و من المؤسف أنّ تعاليم الإسلام التنويريّة، و كلمات أئمّة الدّين الواردة في هذا المجال لم تبلغ أسماع النّاس، كما أنّ كثيراً من المتولّين لأمر الثقافة الدينيّة لم يطّلعوا عليها أيضاً.

---

١ ـ الكافي ٤:٥٢؛ وسائل الشيعة ١٥:٢٥٧.

٢٠ ـ العائدات غير المشروعة

قال الإمام الرضا«ع»: ... **و اجتناب الكبائر و هي قتل النفس التي حرّم الله ـ تعالىٰ ـ ... و أكل الرّبا بعدَ البيّنة... و البخسُ في المكيال و الميزان... و الإسراف و التبذير و الخيانة...**[1]

يتحدّث إمام الإنسان العظيم في هذا الكلام عن الكبائر (و هي الذنوب التي يكون عقابها جهنّم). و عُدّت طرق العائدات غير المشروعة، و جمع الثروات المحرّمة من الكبائر أيضاً. و ذكر البعض أنّ هذه الذنوب الاقتصاديّة تُماثل أشنع الذنوب كالقتل. و وُضِع التطفيفُ، و الخيانةُ في القضايا الاقتصاديّة (في نظمها الثلاثة: الإنتاج، و التوزيع، و الاستهلاك)، و كسبُ الدخل عن طريق الفائدة الحاصلة من المال، أي: الرّبا، مع قتل الناس جنباً الىٰ جنب. و ما الفرق بين أن يقضي شخصٌ علىٰ حياة الإنسان دفعةً واحدةً، و بين أن يبتليه بفقر الدم و الموت البطيء، عبر امتصاص دمه، و قطع عصب حياته الإقتصادية؟

و لتعبير «الخيانة» في كلام الإمام«ع» مفهومٌ عامّ، فهو يشمل كلّ نوعٍ من المخالفة في حركة الثروة، كما يشمل كلّ طريقةٍ اقتصاديّة، و عائدات غير صحيحة تضرّ الناس.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:١٢١.

٢١ ـ الكرامة الإنسانيّة

قال زكريّا بن آدم: **سألت الرضا«ع» عن رجلٍ من أهل الذمّة أصابهم جوع، فأتى رجلٌ بولدٍ له، فقال: هذا لك أَطْعِمهُ و هو لك عبدٌ.**

قال«ع»: لا يُبتاع حرٌّ، فانّه لايصلح لك، ولا من أهل الذمّة.[١]

إنّ كلام الإمام«ع» هذا في ذروة الكرامة و القيم الإنسانيّة. و هو يُلغي القيم المادّيّة. و لا يسمح الإمام«ع» أن تُقايضَ حرّيّة ابن انسانٍ ولو كان ذميّاً وكافراً، بالأُمور الماديّة، و تُنتَهك كرامته بذريعة الجوع. و في رأيه«ع» أنّ الإنسان حرّ، و الحاجات الإقتصاديّة لاتجعل منه عبداً، ولاتصادر حرّيّته التي أودعها الله فيه، ولو لم يكن مسلماً... فانظروا إلىٰ هذه الرؤية بشأن الكفّار و أهل الذمّة...[٢]

و يحسن أيضاً أن يُطبّق هذا السلوك من كان يحكم في امبراطوريّةٍ عظمىٰ لامنافس لها. و يعامل من يحمل عقيدةً مضادّة لعقائد مجتمعه. بمثل معاملة الإمام. و تعليمه«ع» يبعث على العجب، و هو يبيّن عمق الإنسانيّة و أصالتها في الفكر الإسلاميّ. و هو ما لايُلاحَظ مثله في الغرب كلّه.

و نذكر فيما يأتي كلاماً للإمام أميرالمؤمنين«ع» ليستبين هذا الموضوع

---

١ ـ التهذيب ٧:٧٧؛ الاستبصار ٣:٨٣؛ مسند الإمام الرضا«ع» ٢:٣٠٤. [السياق يفيد وضع «لو» مكان «لا»].

٢ ـ المعايير الإقتصاديّة في التعاليم الرّضويّة: ٤٣٢ (فارسيّ).

جيّداً: فقد مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أميرالمؤمنين«ع»: ما هذا؟ فقالوا: يا أميرالمؤمنين، نصرانيّ! فقال استعملتموه، حتّىٰ إذا كبر و عجز منعتموه؟ أنفقوا عليه من بيت المال.[1]

ينظر الإسلامُ إلى الإنسان هذه النظرة، و لا يتّخذ مذهبه و عقيدته و أفكاره ملاكاً لِسدّ حاجاته، بل يتّخذ إنسانيّته و كرامته ملاكاً لذلك.

---

١ ـ وسائل الشيعة ١١:٤٩؛ الحياة ٢:٤٨٥.

٢٢ ـ حقوق الإنسان

قال ياسر الخادم: **وكُتِبَ من نيسابور الى المأمون أنّ رجلاً من المجوس أوصى عند موته بمالٍ جليلٍ يُفَرَّق في الفقراء و المَساكين، فَفَرَّقَه قاضي نيسابور على فقراء المسلمين.**

فقال المأمون للرضا«ع»: يا سيّدي! ما تقول في ذلك؟ فقال: إنّ المجوس لايَتصدّقون على فقراء المسلمين، فاكتب إليه أن يخرج بقدر ذلك من صدقات المسلمين فيتصدّق به على فقراء المجوس...[1]

و قال ريّان بن شبيب: **... فسألت الرضا«ع» فقلت: إنّ أختي أوصَت بوصيّةٍ لقوم نصارىٰ، و أردتُ أصرف ذلك الىٰ قومٍ من أصحابنا مسلمين. فقال«ع»: امضِ الوصيّةَ على ما أوصت به. قال الله تبارك و تعالىٰ: «فإنّما إثمه على الذين يبدّلونه...**[2]»[3]

نلاحظ في هاتين الحكمتَين الرضويّتَين الباعثتَين على الإعجاب أنّ عظمةَ احترام حقوق الإنسان، التي تفوق الوصف، قد ازدهرت و تألّقت فيهما. فالإمام«ع» يرىٰ أنّ من حقّ الإنسان أن يُفكّر و يختار، و يخطو خطواته و يُمارِس أعماله في خطّ فكره و مذهبه. و تظلّ حرّيته و حقوقه محترمةً حتّى

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:١٥؛ مسند الإمام الرضا«ع» ٢:٣٣٢.

٢ ـ البقرة ١٨١.

٣ ـ الكافي ٧:١٦؛ مسند الإمام الرضا«ع» ٢:٤١٠.

بعد وفاته. و يتعيّن حفظ فكره و عمله، و إن كانا معارِضَيْن لفكرنا و عملنا، وأَلّا تُهمَل حقوقه بسبب كَونه غير مسلم.

و اللافت للنظر أنّ الحدّ الأعلىٰ لحماية حقوق الإنسان قد بلغ مبلغاً أنّ الإمام«ع» يأمر بصرف المال للمجوس من بيت مال المسلمين تلافياً لخطأ قاضي نيسابور. و هذه الحماية المبدئيّة لحقوق الإنسان، بغَضِّ النظر عن عقيدته و مذهبه، عديمةُ المثال و جِدُّ ثمينةٍ حقّاً. و تصوّر إنسانيّةً لا يأتي عليها الوصف، و لا مثال لها في أرجاء الغرب الكاذب.

٢٣ ـ في جانب الخدّام

قال ياسر الخادم: ... **فقال لي [الإمام الرضا«ع»] بعد ما صلّى الظُّهر: يا ياسر ما أكل النّاسُ شيئاً؟ قلت: يا سيّدي من يأكل هٰهنا مع ما أنت فيه. فانتصب«ع» ثمّ قال: هاتوا المائدة، و لم يَدَع مِن حَشَمِه أحداً إلّا أقعَده مَعه على المائدة، يَتفقَّد واحداً واحداً... فلمّا فرغوا من الأكل، أُغمي عليه...**[1]

يُفكّر هذا الإمام العظيم بالناس و المحافظة على الخدّام حتّىٰ في حالة تسمّمِهِ الذي كان قد أضعف جسمه، و قضىٰ علىٰ حياته في اللحظات اللاحقة.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:٢١٤.

٢٤ ـ أسباب تكدّس الثروة

قال الإمام الرضا«ع»: **لايجتمعُ المال إلّا بخصالٍ خمسٍ: ببخلٍ شديد، و أملٍ طويل، و حرصٍ غالبٍ، و قطيعة الرَّحِم، و إيثار الدّنيا على الآخرة.**[١]

(إنّ ظاهرة الرأسماليّة المشؤومة التي يعبّر عنها القرآن الكريم بـ«التكاثر» أول ظاهرةٍ نفسيّةٍ تَنبعُ من طبيعة الإنسان و طريقة تفكيره و أخلاقه الباطنيّة. من هنا، و من أجل التعرّف علىٰ ماهيّة هذه الظاهرة، حتّى بوصفها موضوعاً من الموضوعات الاقتصاديّة و مشكلة من المشكلات الإجتماعيّة، يتعيّن تَلمُّس نفسيّات الأشخاص و بواطنهم، و دراسة البواعث و الأسباب الداخليّة للموضوع...)[٢]

و هذا الموضوع معيار الافتراق الأساسى بين الفكر الإسلامي و سائر الأفكار، إذ لايَغْفَل الفكر المذكور عن العامل الأصليّ لجميع هذا الأمور، أي: الإنسان نفسه و نزعاته و اختياراته.

و في دراسة آليّة النموّ التصاعديّ و غير المتّزن للثروة، و بروز ظاهرة التكاثر، و ظهور الأموال الطائلة، نواجه طبائع و سجايا تمثّل العوامل الأصليّة لتكدّس ثروات الرأسماليّة الطامعة و التكاثر. و عندما تَقعُ وسائل الانتاج، و الأرض، و الماء، و سائر المصادر المنتجة للثروة بأيدي الطامعين و عبدان

---

١ ـ نفسه ١:٢٧٦؛ الخصال ١:٢٨٣.

٢ ـ المعايير الإقتصاديّة في التعاليم الرضويّة: ٣٨٥.

الأمـوال، فـإنّها تُـصبِحُ وسـائل للاسـتغلال و الظـلم و تشكـيل الطـبقات الاقتصاديّة.

إنّ الخصال المذكورة في تلك الحكمة الرضويّة هي الأسباب و العوامـل الأصليّة للنزوع نحو تكدّس الثروة. و سحق المبادىء الإنسانيّة و الأخلاق و العدالة. و كلٌّ منها رادعٌ للإنسان عن بلوغ الكمال المعنويّ والوعي الأخلاقيّ و القيم الإنسانية الرفيعة و القرب من الله سبحانه و تعالىٰ. و هى نفسها ـ الطبائع الشيطانيّة و عبادة المادّة ـ الموطّئة الأصليّة لفقدان الطبقة الرأسـماليّة مـبدأَ الالتزام، و الشعورَ بِعَناء المحرومين و البائسين. و هي تؤدّي أيضاً إلى سحق مبادىء العدالة الإجتماعيّة.

ولاريب أنّ هذه الثروات المكـدّسة المـذمومة ذات الدوافـع الشـيطانيّة عائدات تحصل عن طريق الظلم، و الاسـتغلال، و الاحـتكار، و التـلاعب بالأسعار، و إنتاج بضائع ذات نوعية غير مرغوبة، و الغصب، و الربا، و غيرها. فلاإنتاج لثروةٍ و استثماراتٍ بنّاءة، و لا أرزاق مـحلّلة يـعتبرها الإمـام«ع» أعمالاً اقتصاديّة إسلاميّة ثمينة. و يستبين من سلسلة التعاليم الرضويّة بشأن المال و النظام الماليّ أنّ المال هو قوام المجتمع، فلابدّ من العمل الجاد لحفظه و نموّه، و التوجّه إلىٰ الإنتاج و التبادل عبر الطرق المشروعة التي تَصُبّ في مصلحة المجتمع.

و سيُذكَرُ هذا الموضوع إن‌شاءالله في كرّاساتٍ أُخرىٰ تَضُمُّ كلمات الإمام الرّضا«ع».

٢٥ ـ التعقّل و تقبّل التربية

قال الإمام الرضا«ع»: **لايتمّ عقل امرءٍ مسلم حتّى تكون فيه عشرٌ خصالٍ: الخير منه مأمول، و الشرّ منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، و يستقلّ كثير الخير من نفسه...**[١]

الموضوع الأوّل الذي يستبين من هذه الحكمة الرضويّة الرّبانيّة هو أنّ العقل العامل و المهاد الأصليّ لتقبّل التربية، و الفضائل الأخلاقيّة.

و تلقّح الأخلاق الحسنة و السجايا الإنسانيّة العقل أيضاً و توصله إلىٰ الكمال، و لكلٍّ تأثيره المبدئيّ. فالواضح هو أنّ الخصال الإنسانيّة، و السنن الروحيّة ممهدّة لنموّ العقل و تكامله، و يمكن للعقل أن يتنامىٰ و يتعالىٰ و يتكامل في حِجر النفوس المستقيمة ذات الأخلاق و السجايا الإنسانيّة الصالحة. في حين يتناقص و يتضاءل مصباحه، و ينطفىء تدريجاً في مهد السِيَر الإبليسيّة و الطبائع الحيوانيّة و الشيطانيّة و النفوس المعوجّة.

أمّا الموضوع الثاني في هذا الكلام الرفيع للإمام«ع» فهو استقلال خير الانسان و خدماته، و استكثار خير الآخرين و خدماتهم القليلة. فيبلغ مبلغاً أنّه يتخلّص من الأنانيّة فيستصغر أعماله الكبيرة الثمينة و يعدّها تافهةً، و يصل إلىٰ درجة حبّ الآخرين، فيثمّن منزلتهم و يستعظم عملهم الضئيل.

---

١ ـ تحف العقول: ٣٢٦.

و أمّا الموضوع الثالث فهو التخلّص من الأنانيّة و العُجب، و امتلاك رؤية إيجابيّة عالية تجاه الآخرين، و تثمينهم و تقديرهم. و هذا الموضوع، بخاصّةٍ في هذا المستوىٰ يجعل بعض الاشخاص أُولي قدرٍ و منزلةٍ في نظر غيرهم من بني جنسهم حتّى إنّه لا يستطيع أيُّ عاملٍ أن يقلّل ذلك القدر و المنزلة، أو يصغّر شأن محاسن الآخرين.

و هذه الحكمة الصائبة تُظهر الناس علىٰ مستوىٰ سامق رفيع في نظر بعضهم للبعض.

و أمّا الموضوع الرابع فهو التغاضي عن النقص الأخلاقي أو السلوكيّ للآخرين، و تلمّس تسويغ منطقيّ لذلك. و إذا تجلّت هذه المعايير في العلاقات الإجتماعيّة، فإنّ أرضيّة كلّ تفرقةٍ و استصغار للآخرين ستزول، و تتحسّن المعاملة مع الأفراد و الطبقات المعوجّة و الشاذّة و تكون إنسانيّةً بما يليق بالإنسان نفسه.

و أمّا الموضوع الخامس فهو التواضع أمام الأخيار و أُولي الإنسانيّة، و هذا مبدأ تربويّ حيويّ جدّاً. و هو طريق للتوجّه نحو الفضائل و تحصيل الخصال الحميدة للآخرين. و هؤلاء المحبّون للخير، و الطالبون للسجايا الإنسانيّة العظيمة يتواضعون أمام الإنسانيّات و القيم، و يثمّنونها، و يحاولون أن يتّصفوا بها.

٢٦ ـ نطاق مسؤوليّة الحكومة

قال الإمام الرضا«ع» للمأمون: ... **اتّقِ الله في أُمّة محمّدٍ «ص» و ما ولّاك الله من هذا الأمر و خصّك به. فانّك قد ضيّعت أمور المسلمين، و فوَّضت ذلك إلىٰ غيرك يحكم فيهم بغير حكم الله، و قعدت في هذه البلاد و تركت بيت الهجرة و مهبط الوحي، و انّ المهاجرين و الأنصار يظلمون دونك، و لا يرقبون في مؤمنٍ إلّاً ولاذمّةً، و يأتي على المظلوم دهر يتعب فيه نفسه و يعجز عن نفقته، ولا يجد من يشكو إليه حاله، ولا يصلُ إليك. فاتّق الله... في أُمور المسلمين... أما علمت... أنّ والي المسلمين مثل العمود في وسط الفسطاط من أراده أخذه...**[1]

و نقول بشأن هذا الكلام الذي خاطب به الإمامُ الرضا«ع» المأمون: إنّ المأمون ذهب يوماً إلىٰ الإمام«ع»، و كان معه كتابٌ كبير، فجلس و قرأ الكتاب علىٰ الإمام«ع». و كان الكتاب يتحدّث عن فتح بعض قرىٰ كابل بيد جُند الإسلام. و لمّا فرغ المأمون من قراءته قال له الإمام«ع»: سرّك فتح قريةٍ من قرىٰ الشرك والكفر؟ فقال المأمون: أليس في هذا الخبر فرحٌ و سرور؟

فخاطبه الإمام«ع» بتلك الكلمات المذكورة. و قال له ما مضمونه: اعدل في بلاد المسلمين، و ارفع الفقر و الحرمان من الأساس، و تلمّس السبيل إلى حلّ مشكلات الناس، فهذا هو الذي يسرّ الحاكم المسلم، لا الفتح و إضافة

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢: ١٦٠؛ مسند الإمام الرضا«ع» ١: ٥٨.

قرية أو مدينة إلىٰ بلاد الإسلام، بدون أن تُطَبَّق روح الإسلام و جوهر الدين، أي: العدالة. فتطبيق ما يريده الإسلام و القرآن هو الباعث علىٰ الفرح و السرور؛ أي: إزالة الفقر و المسكنة، و مكافحة الظلم و التمييز، لا المساحة الجغرافيّة للأرض.[١]

فهذا التعليم الأساسى للإمام«ع»، و أمره الحاكم العبّاسيّ بالمعروف في نطاق مسؤوليّة الحكومات شرطٌ أوّل و ضروريّ لبناء المجتمع القائم علىٰ العدالة؛ العدالة الحقيقيّة لا إطلاق الشعارات و زيادة المشكلات القاتلة للناس.

و كان ظلم بني‌العبّاس قد ألمّ بأرجاء الأُمّة الإسلاميّة في عصر الإمام الرضا«ع»، و وعت جماهيرُ الناس الأمورَ أكثر فأكثر.

تحدّث إمامُ الإنسان، العظيم في هذا العصر عن المسؤوليّة العظيمة للإمامة في المجتمع الإسلاميّ من أجل تنمية الوعي أكثر، وعَدَّ خصائصها و شروطها في مناسباتٍ مُختلفة لكي يُدرك الناسُ الحكّام الأصليّين، و يعرفوا الزاعمين الكاذبين جيّداً. إنّ الهدف من هذا الكلام هو الكشف عن الأفكار العبّاسيّة و المأمونيّة الدَنِسة التي كان أصحابها يفكّرون دائماً في توسيع رقعة سيادتهم. و كانوا قد نسوا العدالة و الرفاهيّة و علاج مشكلات الناس. و هذا هو ما مُنيَت به الحكومات. فكلام الإمام«ع» القارع يشمل جميع الحكّام الذين أهملوا رخاء الناس و تأمين حاجاتهم، و برفعهم شعار العدالة و الإسلام جعلوا الحياة باخعةً لاتُطاق.

---

١ ـ التاريخ يُعيد نفسه؛ لأنّنا نرىٰ أنّ الحكومات غير الشعبيّة تتحدّث دائماً عن العدالة و المحرومين، و هي تمارس ضغطها المنهك المضني علىٰ الناس، ولا أحد يتحدّث عن ذلك.

٢٧ ـ العطر و الطيب

قال الإمام الرضا«ع»:... **لاينبغي للرجل أن يدع الطيبَ في كلّ يومٍ، فإن لم يقدر عليه فيومٌ و يومٌ لا، فإن لم يقدر ففي كلّ جمعةٍ ولايدع ذلك.**[١]

إنّ العطر و الطيب للإنسان في العبادة، و الأسرة، و المجتمع فرضٌ إنسانيٌّ و أخلاقيّ أكّدهُ الإمام العظيم«ع».

و قام أساس الحياة البشريّة علىٰ الاختلاط و المعاشرة. و للمعاشرة و التقارب جذبٌ و دفعٌ: مادّيّان و معنويّان. فرداءة الطبع، و سوء الخلق، والطمع، و الحقد، و الغلظة و القسوة، و الغضب، و أمثالها، من عوامل الدفع المعنويّة و الأخلاقيّة التي تُبعد الآخرين عن الإنسان؛ كما أنّ حسن الخلق، والصفح و الإغضاء، و البشاشة و المحبّة، من عوامل جذب الآخرين و عطفهم إليه.

و يُمكن أن تؤثّر الأمور المادّيّة أيضاً في تماسك العلاقات الجماعيّة، و إقرار الجذب في المعاشرات، و من عوامل الجذب المادّيّة: النظافة، و الزينة الظاهريّة، و الطيب، و استعمال أنواع العطور. و هذه من جملة الحقوق الاجتماعيّة التي ينبغي للإنسان، إذا عاش في المجتمع، أن يتحلّى بها و يكون ذاسيما مزيّنة و رائحة طيّبة مرغوبة، لا أن يظهر فيه شعثاً ذا رائحةٍ كريهةٍ

---

١ ـ الكافي ٦: ٥١٠؛ عيون أخبار الرضا«ع» ١: ٢٧٩، ٢٨٠.

ممقوتة غير طيّبة، فيشمئزّ منه جميع الناس.

و هذا فرضٌ يجب أن يُعمَل به في الأُسرة التي تُمثّل مجتمعاً مصغّراً، فيسرّ زوجه و سائر أعضاء الأُسرة، فتطيب العلاقات العائليّة و تكون مفرحةً.

و أكّد العطر و الطيب عند الحضور في المساجد و المزارات و في كلّ عبادةٍ من العبادات أيضاً؛ لأنّ الإنسان يجب أن يكون في أفضل حالةٍ و أجمل سيما أثناء عبادة الله سبحانه و تعالى، كما يرتدي لباساً نظيفاً، و يكون جسمه طاهراً، و يتعطّر بالطيب.

الموضوع الآخر في فلسفة استعمال العطر في العبادة هو أنّ الملائكة والقوى المعنويّة و الربّانيّة المتوجّهة إلى صلاة الإنسان و عبادته تتغذّى من العطر و الطيب. و هذا ما يؤدّي إلى جذبهم و عطفهم أكثر فأكثر، حتّىٰ إنّ بعض أهل الأذكار اشترطوا استعمال بعض العطور و البخور عند قراءة أذكارهم.

و عدّ الإمام الرضا«ع» في كلامٍ آخر له، الطيب من أخلاق الأنبياء، فقال: **الطيب من أخلاق الأنبياء.**[1]

و أُثر عن النبيّ«ص» أنّه كان لا يغفل في سفره عن ثلاثة أشياء، منها العطر. و قال الإمام الرضا«ع» أيضاً و هو يتحدّث عن الإمام الصادق«ع»: **كان يُعرف موضع جعفر«ع» في المسجد بطيب ريحه و موضع سجوده.**[2]

و تأكيد استعمال العطر في كلّ يوم أو بين يوم و آخر، أو في كلّ جمعة موضوع يرتبط بجميع الناس، لابطبقةٍ خاصّةٍ و ثريّةٍ منهم. و لا ينبغي للمجتمع الاسلاميّ أن تتعطّر فيه الطبقات الراقية، و تكون فيه عامّة الناس الذين يملأون المساجد كالمستنقع المتحرّك المليء بالقذارة و الرائحة الكريهة. من

---

١ ـ الكافي ٦: ٥١٠؛ مسند الإمام الرضا«ع» ٢: ٣٧٢؛ الحياة ٦: ١٣٦.

٢ ـ مكارم الاخلاق: ٤٤؛ الحياة ٦: ١٣٧.

هنا، فانّ مستوىٰ الحياة الإنسانيّة من منظار الإمام الرضا «ع» يقوم على أساس تمتّع الجميع بدَخلٍ يستطيعون أن يصرفوا قسماً منه علىٰ العطور.

أَجَل، لمّا كان الفلاّحون، و العمّال، بل حتّى عمّال المناجم الذين يعملون في أعماقها هم الذين يشكّلون المجتمع الإيمانيّ، فلابدّلهم من زينةٍ ظاهرة، و رائحة ذكيّة طيّبة.

إنّ كثيراً في الشرفاء لايتسنّى لهم، بسبب أُجورهم الواطئة، أن يرتدوا اللباس المناسب كما ينبغي، و لو مرّة واحدة في السنة، و أن يتزيّنوا لأهليهم وأُسرهم، و يتعطّروا. فمجتمعهم هذا لايمكن أن يكون شيعيّاً رضويّاً.

٢٨ ـ النظافة و الصحّة

قال الإمام الرضا«ع»: **إنّ الله تبارك و تعالىٰ... يُبغض البؤسَ و التباؤس، و إنّ الله عزّوجلّ يُبغض من الرجال القاذورة...**[١]

للصحّة و النظافة أهمّيّة خاصّة عند الإمام«ع». و الوساخة و القذارة شيء مذموم و مستهجَن و موجب لبغض الله سبحانه. و جاء غسل البدن ـ و هو الأصل في النظافة ـ في التعاليم الرضويّة بأعلىٰ درجة؛ أي: الغسل و الاستحمام في اليومين مرّةً.

قال«ع»: **الحمّام يومٌ و يومٌ لا ...**[٢]

و نظراً إلىٰ مشكلات الحياة الماضية، و شحّة المياه، و فقدان الآلات و الوسائل اللازمة لاستثمار المياه الجوفيّة، و السدود و المضخّات، فإنّ الكلام عن الاستحمام في اليومين مرّة ذو أهمّيّةٍ بالغة. و إذا أخذنا بعين الاعتبار الوضع الجغرافيّ للجزيرة العربيّة آنذاك، فإنّ تأكيد رعاية الصحّة و الغسل بالنحو المذكور يُبين أهمّيّتهما و ضرورتهما للجميع دوماً و أبداً.

و استأثر كثير من أحكام الإسلام بالنظافة و الصحة، كالوضوء، و الغسل، و غسل الجمعة، و أمثالها. و لهذه الأغسال آثار معنويّة أيضاً.

و تحدّث القرآن الكريم عن الطهارة و النظافة مراراً، و عرّف الماء كشيء

---

١ ـ فقه الرضا«ع»: ٣٥٤.

٢ ـ الكافي ٦:٤٩٦.

طهور. قال تعالىٰ: **و أنزلنا من السماء ماءً طهوراً.**[١]

و أكّدت التعاليم الإسلاميّة بأسرها النظافة و رعاية الشؤون الصحّيّة، و هي من الكثرةِ بحيث تُصبح كتاباً كاملاً.

قال الإمام الصادق«ع»: **أبصر رسول الله«ص» رجلاً شعثاً شعرُ رأسه، وَسِخةً ثيابه، سيّئةً حاله. فقال رسول‌الله«ص»: مِن الدّينِ المُتعةُ و إظهارُ النعمةِ.**[٢]

---

١ ـ الفرقان: ٤٨.

٢ ـ الكافي ٦: ٤٣٩؛ الحياة ٦: ١٣٥.

٢٩ ـ الخَصخَصة أو العَمعَمة

قال الإمام الرضا«ع»: ... **والبراءة مِمّن نفى الأخيار... و جعل الأموال دُولةً بين الأغنياء...**[١]

و هذا الكلام قسم من كتابه«ع» إلىٰ المأمون بشأن خصائص الإسلام الأصيل. و ذُكر التولّي و التبرّي في هذه الحكمة، و هما من شروط الإسلام الأصيل، و البراءة المذكورة في الحديث هي التبري المقصود. و من ضروب البراءة إدبارنا عن كلّ من يسعىٰ الىٰ كنز الثروة و تكديس المال، و يضرب صفحاً عن تعاليم القرآن الكريم و النبيّ«ص» و الأئمّة«ع» و أهدافهم، و رفضه و إدانته، و فصل خطّنا و حركتنا عن خطّه و حركته، شخصاً كان أم تيّاراً.

و يتعيّن الالتفات إلى أنّ مبدأ التولّي و التبرّي ليس لفظاً فحسب، بل هو عمل، بمعنىٰ أنّ الحركة في طريق أولياء الله هي التولّي، و الفرار من طريق أعداءِ الله و الإدبار عنهُ هو التبرّي.

و تعبير الإمام العظيم«ع» مأخوذ من القرآن الكريم. قال تعالى: **ما أفاء الله علىٰ رسوله من أَهلِ القرىٰ فلله و لِلرَّسول و لذي القربىٰ و اليتامىٰ و المساكين و ابن السبيل كَيْ لايكونَ دُولةً بين الأغنياء منكم.**[٢]

و جاء هذا الموضوع قاطعاً صريحاً في أحاديث أخرىٰ أيضاً. فقد قال

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:١٢٦.

٢ ـ الحشر: ٧.

الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع»: ... **و لم أجعلها دُولةً بينَ الأغنياء.**[١]

و هذا من خصائص الحكم الإسلاميّ، إذ تصُبُّ حركة الثروة و دورانها في المصلحة العامّة للناس، لافي مصلحة مجموعةٍ خاصّة من المنسوبين إلىٰ السلطات و المكدّسين للأموال.

و كلّ نهجٍ يتبنّىٰ إخراج الأموال من المصلحة العامّة و الاستثمار العامّ، و يملأ بها جيوب شرذمةٍ من الخواصّ و الأشراف و المنسوبين إلىٰ السلطات نهجٌ غير إسلاميّ، و مُنابذ لكلام الإمام الرضا«ع».

و لاينبغي أن نجمع الناس، و نأخذ ثرواتهم، و نَهَبَها لمجموعةٍ خاصّة، بل تُستخدَم طرق و برامج خاصّة، فتُصبحُ مجموعة صغيرة من الناس صاحبة أموال طائلة و تكون مصادر ثروة المجتمع بيدها تدريجاً، و تخلو أيدي عامّة الناس منها. و هذا النوع من دوران الثروة الذي يتحقّق في ظلّ قوانين خاصّة و ممارسات الحكّام يتناقض مع القرآن الكريم و التعاليم الرضويّة.

و لمّا طرح العالم الشهيد آيةالله بهشتي مشروع «التعاون» و «التعاونيات» و أدرجه في القوانين المدنيّة، فإنّهُ قصد تقديم منهجٍ تُصبح به الثروات بأيدي العامّة من الناس تدريجاً، و يستفيد منها الجميع، و تكون ملكيّة الثروات عامّة لا خاصّة. و لهذه الفكرة أصل إسلاميٌّ ربّانيٌّ مئة بالمئة؛ لِأنّ الله سبحانه خلق الأرض و مصادرها للناس جميعاً لا لطبقةٍ خاصّة. والناس كلّهم أعضاء أُسرةٍ ربّانيّة، لا شريحةٍ خاصّة.

و موضوع «السهام» في عصرنا هذا حلٌّ مناسب للعمل بهذا التعليم الإسلامي إذ تكون رؤوس الأموال الكبيرة (المعامل، المناجم، المزارع) مع

---

١ ـ الكافي ٨: ٦١.

السهام بأيدي الجميع، ولا تناط بأشخاصٍ قليلين، و هو ما يُرضي الله و خلقه. بخاصّة. أنّ الأشخاص المتمكّنين و الأثرياء يستطيعون بما لَهم من نفوذ في مراكز اتّخاذ القرار أن يؤثّروا في تسعير المصادر الاقتصاديّة الكبيرة، و يشتروا رؤوس الأموال الضخمة الغالية بسعرٍ أقلّ كثيراً من قيمتها!

٣٠ ـ الاستئثار و التخصيص

قال الإمام الرضا«ع»: ... **والبراءة من الذين ظلموا آل محمّد«ص»** ...

والبراءة من الناكثين و القاسطين و المارقين... و البراءة من أهل الاستئثار...[١]

ذُكرت البراءة من أهل الاستئثار بعد البراءة من ظالمي آل محمّد«ص» حقوقهم؛ أي: المستأثرين و الذين يجعلون الأموال و المصادر العامّة للثروة العائدة إلى الأمّة التي يجب أن تكون بأيدي الجميع، خاصّةً بهم و بأقاربهم، و يقطعون أيدي عامّة النّاس منها.

و معني «الاستئثار» الاستبداد و اختصاص المرء نفسه بأحسن الشيء دون غيره.[٢]

إنّ الاستئثار بمصادر الثروة العامّة من العوامل المهمّة لتقسيم الثروات بنحوٍ غير متساوٍ و غير عادل، و ظهور طبقة غنيّة مسرفة و طبقة فقيرة بائسة. و هذا عملٌ مخالفٌ لسنّة الله سبحانه في خلق المواهب الطبيعيّة (لأنّها عامّة و للجميع)، و هو أيضاً لاينسجم مع التعاليم الإسلاميّة و الرضويّة.

و جاءت هذه الكلمة في أحاديث أُخرى أيضاً، و قد أُدينت: فقد روى الإمام الباقر«ع» عن النبيّ «ص» أنّه قال: **خمسةٌ لعنتهم ـ و كلّ نبيٍّ مجاب ـ**

---

١ ـ عيون أخبار الرّضا«ع» ٢:١٢٦.

٢ ـ المنجد: ٣.

الزائد في كتاب الله، و التارك لسنّتي... و المستأثر بالفيء المستحلّ له.[١]

و قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع» في عهده لمالك الأشتر: **و إيّاك و الاستئثار بما الناس فيه أُسوةٌ...**[٢]

فكلام الإمام الرضا«ع»، كسائر كلماته و حكمه في تفسير الخطّ الأصيل للإسلام، يماثل الأحاديث الأُخرىٰ و يضاهيها. و هو مأخوذٌ من المنطلق الأصليّ و منبع الوحي الفيّاض الذي يجعل المصادر الطبيعيّة و المواهب الإلهيّة في مصلحة الجميع، حتّى الحيوانات، و يرى أنّ كل استئثارٍ و تخصيص مخالف للسنّة الإلهيّة و القانون الربّانيّ العامّ.

---

١ ـ الكافي ٢:٢٩٣.

٢ ـ نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

٣١ ـ الاستغلال

قال الإمام الرضا«ع»:... **و اجتناب الكبائر و هي قتل النفس... و البخس في المكيال و الميزان... و الخيانة...**[١]

إنّ استغلال أُجور العمّال والفلّاحين، و بخسهم حقّهم و عدم تثمين عملهم و بضاعتهم نهجُ النُظُم الرأسماليّة و الخائنين للحقوق العامّة.

و هذا ظلمٌ عظيم كان موجوداً على طول تاريخ الإنسان، و هو الآن أكثرُ وأمضُّ. و الشبكات الرأسماليّة هذا اليوم، بما لها من اتّصالات قويّة و علم بوضع سوق العمل و اتّحاد و تواطؤ، تمنح العمّال رواتب أقلّ بكثيرٍ ممّا يستحقّونه، و تُبيح ظلم الطبقات الكادحة. و لم يستطع التمدّن الصناعيّ في النُظُم الرأسماليّة أيضاً أو لم يُرد أن يفكّر بحلٍّ لهذا الظلم العظيم، و يضع حدّاً لمصالح كانزي الثروة قليلاً.

و تُفيد التعابير القرآنيّة أنّ الأنبياء هم الذين قاموا في أوّل دعوتهم لمكافحة الاستغلال، و اصطدموا بمراكز السلطة و الثروة و القوّة. قال تعالىٰ في هذا الشأن:

و يا قومِ أوفوا المكيال و الميزان بالقسط و لاتبخسوا الناس أشياءهم و لاتعثوا في الأرض مفسدين.[٢]

---

١ ـ عيون اخبار الرضا«ع» ٢:١٢٧.

٢ ـ هود: ٨٥.

بخس أشياء الناس: نُقصان حقوقهم في عملهم و بضاعتهم، و قد ورد في آياتٍ أُخرىٰ على لسان أنبياء آخرين أيضاً.[١]

قال أمين الإسلام الطَبْرِسيّ في تفسير الآية من تفسيره «مجمع البيان»: **و لاتبخسوا الناس أشياءَهم**: أي: لا تنقصوهم حقوقهم.[٢]

و جاء في كلام الإمام الرضا«ع» تعبير «البخس في المكيال و الميزان»، و «الخيانة». و الخيانة في مفهومها العام و الشامل تتضمّن كُلّ ظلمٍ اقتصاديٍّ و ماليٍّ، و تجعل ذلك في عداد القتل و الكبائر، و ذِكر الخيانة بنحوٍ عامٍّ دليل علىٰ تعميم مفهوم الحديث ليشمل الحالات المماثلة و الطرق الجديدة لاستغلال العمّال.

و لمّا كانت المعامل و آلات العمل محدودةً في الأعصر الخالية، فقد مورس الظلم و الاستغلال بواسطة الآلات الموجودة آنذاك، أي: المكيال و الميزان؛ بَيْد أنّه لمّا تغيّرت الشؤون الاقتصاديّة و المكاييل و الموازين كلّها هذا اليوم، و مارس التجّار و شركات الاحتكار و الشركات المُجمّعة الاستغلال و الظلم الاقتصاديّ على مستوىٰ واسع، و سيطر الرأسماليّون على المعامل و المزارع و مصادر الثروة، فقد تَعَوْلَمت المشكلة و استطار شرّها.

و عرض الإسلام الأَشكال المتنوّعة لاستغلال عمل الآخرين، و أدانها جميعاً و أعلن أنّها غير إسلاميّة.

فقد روىٰ محمّد بن مسلم عن الإمام الباقر«ع» أو الإمام الصادق«ع» أنّه **سُئِل عن الرجل يتقبّل بالعمل فلايعمل فيه، و يدفعه إلىٰ آخر فيربح فيه؟**

---

١ ـ منها في سورة الاعراف: ٨٥.

٢ ـ مجمع البيان ٤:٤٤٧؛ الحياة ٥:٥٤٥.

قال: لا، إلّا أن يكون قد عمل فيه شيئاً.[١]

و لمّا لم تكن القيمة الإضافيّة في مقابل العمل، و أنّه لم يمارس عملاً معيّناً ليستلم مالاً إضافيّاً، فإنّ هذا العمل استغلال و حرام.[٢]

---

١ ـ وسائل الشيعة ١٣:٢٦٥.

٢ ـ لمزيد البيان، انظر: الحياة ٣::٦، و لاسيّما ٢٢٤-٢٢٠.

٣٢ ـ تحديد الربح في التجارة

قال الإمام الرضا«ع»: **رِبحُ المؤمن على أخيه رباً، إلّا أن يشتري منه شيئاً بأكثر من مِئةِ درهمٍ، فيربحُ فيه قوتَ يومه، أو يشتري متاعاً للتجارةِ فيربح عليه ربحاً خفيفاً.**[١]

أقرّ الإسلام المقايضة كحاجةٍ اقتصاديّة. و النظريّة القائلة أنّ الباعة لايُضيفون شيئاً على بضائعهم، و أنّ الربح الَّذي يأخذونه غير صحيح، مرفوضةٌ؛ لأنّه لاشكّ أنّ تكلفة البضاعة في المعمل تختلف كثيراً عن قيمتها في المتجر القريب من سكن المستهلك. و عناء نقلها و أجورها و سائر شؤونها، شيءٌ مكلف، و يجعل ربح المقايضة صحيحاً و حقّاً.

و إذا كان الربح في المعاملات صحيحاً و منطقيّاً و شرعيّاً، فهل يكون حسب ما يختاره أصحاب المبادلات، و ليس فيه تقييد؟ و هل يستطيع الباعة بيع بضاعتهم بأيّ سعرٍ شاءوا؟

و عرض القرآن الكريم و أحاديث النبيّ «ص» و الأئمّة«ع» هذا الموضوع، و عيّنوا حدوداً و شروطاً للربح في التجارة و المبادلات التجاريّة.

قال سبحانه و تعالى: **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلّا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم ولاتقتلوا أنفسكم...**[٢]

---

١ ـ بحارالأنوار ١٠٣: ١٠٠؛ مستدرك الوسائل ٢: ٤٦٢؛ الحياة ٤: ١٤٢.

٢ ـ النساء: ٢٩.

تخاطب الآية المجتمع، و المجتمع فيها كالجسد الواحد، و ترى أنّ الإخلال في حركة الثروة، و المقايضات يؤدّى إلى انتحارٍ جماعيّ، و ذلك في قوله: **لاتقتلوا أنفسكم**.

و من النكات الأصليّة في الآية تحديد الربح في التجارة، المستفاد من كلمة «تراضٍ» أي: رضا الطرفين، البائع و المشتري. فكلّ مقايضةٍ يجب أن تكون برضا الطرفين، لابرضى البائع وحده فيأخذ ربحاً فاحشاً، و يمتصّ دم المشتري و يملأ جيبه بنقوده. فهذا العمل مخالف للآية القرآنيّة، لأنّ التراضيّ لم يتحقّق بل تحقّق رضا طرفٍ واحد، و هو البائع.

و أكّد الإمام الرضا«ع» هذا المحور في كلامه، فذكر أنّ الربح يجب أن يكون خفيفاً، و أنّ الأرباح الفاحشة و المضاعَفة عملٌ غير إسلاميّ و غير رضويّ، كما ورد هذا الموضوع في القرآن الكريم بتعبير «تراضٍ».

و أكّد الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع» أيضاً هذا المبدأ المهمّ، تحديد الربح، في عهده إلى مالك الأشتر، فقال«ع»: ... **و ليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدلٍ، و أسعارٍ لاتُجحف بالفريقين، من البائع و المبتاع...**[1]

يتّفق كلام الإمام«ع» هذا مع كلام حفيده الإمام الرضا«ع». فقول الإمام الرضا«ع»: «ربحٌ خفيف»، و قول جدّه«ع»: «بيعٌ سمح» يُشيران إلى معيارٍ واحد، و هو الربح القليل في المبادلات.

يقول العالم الشهيد آيةالله بهشتي في هذا الشأن: «... إنّ الشيء الَّذي يعتبر سرقةً و يؤدّي إلى أن يتمكّن بعض الناس من إيجاد شرايين خفيّة لاجتذاب القيم الإنتاجيّة الحاصلة من عناء الآخرين العاملين بأدمغتهم و أيديهم

---

١ ـ نهج البلاغة: الكتاب ٥٣.

و خزنها هو الربح علىٰ رأس المال التجاريّ. و لا إشكال في الربح بـالمقدار الَّذي يعادل تعب المشتري و البائع، و الكاتب و المحاسب، و العامل، و أجور الهاتف، و أمثالها. بَيدَ أنّه إذا قال شخص: إنّه يريد المقدار الفلانيّ من مقايضة ألف طنّ، و إذا كان مئة طن، فإنّه يريد ١٠٪ ربحاً بذلك المقدار من العـمل، فعمله هذا غير صحيح. و هو ربحٌ على مالٍ ظالم، و هو مرفوض...

نفهم جيّداً من التتبّع في قسمٍ مـهمٍّ مـن الأحـاديث النـبويّة و روايـات الأئمّة«ع» الواردة عندنا في آداب التجارة أنّ الكـاسب صـاحب الأخـلاق الإسلاميّة، الملتزم بأحكام الإسلام يأخذ الربح المعادل لتعبه و عنائه، و هو ربحٌ عادل. بَيْدَ أنّ الكاسب الَّذي يريد، علاوةً على ذلك، أن يخلق له رأسماله العقيم من الوجهة الاقتصاديّة معجزةً، و يخلف له شـيئاً، هـو شـخصٌ غـير منصف. ولاشكّ في المقاييس الإسلاميّة بهذا الشأن.

و نفهم من قوله تعالىٰ: **أحلّ الله البيع و حرّم الربا**[1] الحدّ المعقول لربح البائع إزاء تعبه، و أكثر من هذا يُعتبر نوعاً مـن الظـلم فـي المـنظار الإقـتصاديّ، و لاتفاوت بينه و بين الربا...»[2]

---

١ ـ البقره /٢٧٥.

٢ ـ **الاقتصاد الإسلاميّ**، الشهيد آيةالله الدكتور بهشتي: ٦٠ و ٦١، مكتب نشر الثقافة الإسلاميّة، ١٤٠٣ هـ .

٣٣ ـ الأخلاق المثاليّة

قال إبراهيم بن العبّاس: **ما رأيت أبا الحسن الرضا«ع» جَفا أحداً بكلمةٍ قطُّ، ولا رأيته قطع على أحدٍ كلامه حتّى يَفرُغَ منه، و ما ردّ أحداً عن حاجةٍ يقدرُ عليها، ولا مدّ رجلَه بين يدي جليس له قطّ، ولا اتّكىٰ بين يدي جليس له قطّ، و لارأيتُه شَتَم أحداً من مواليه و مماليكه قطّ، و لا رأيتُه تفل... و كان إذا خلا و نصب مائدَته أجلس معه علىٰ مائدته مماليكه و مواليه حتّى البوّاب و السائس. و كان قليلَ النّوم بالليل، كَثيرَ السَّهَرِ... و كان كثيرَ الصيامِ، فلايَفوتُه صيامُ ثلاثةِ أيّامٍ في الشَّهرِ، و يقول: ذلك صومُ الدَّهرِ، و كان كثير المعروف و الصّدقة في السرِّ، و أكثرُ ذلك يكونُ منه في الليالي المُظلِمةِ.**[1]

إنّ الأخلاق هي الوجه الحقيقيّ للإنسان و الخطّ البيانيّ لشخصيّته. و يُعرَف العظماء من أخلاقهم الحسنة. و قال سبحانه و تعالى مادحاً عظمةَ نبيّهِ«ص»: **و إنّك لَعَلىٰ خُلُقٍ عظيم.**[2]

و تجلّى القادة الربّانيّون و الأئمّة«ع» بأسمىٰ الأخلاق الصالحة، حتّىٰ أصبحت الأخلاق الحميدة جزءاً من كيانهم و روحهم. و علىٰ أتباعهم الصادقين أن يتحلّوا بمثل هذه الأخلاق أيضاً، و يسعوا إلىٰ أن يقتربوا من أئمّتهم في التربيّة و الأخلاق أكثر فأكثر.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢: ١٨٤.

٢ ـ القلم: ٤.

٣٤ ـ العمل في نظام الطبيعة

قال الإمام الرضا«ع»: ... **ليس للنّاس بُدٌّ من طلب معاشهم، فلا تدع الطّلب.**[١]

الإنسان كائنٌ مُحتاج، و الموادّ التي يحتاجُ إليها كامنَةٌ في الطبيعة. بَيْدَ أنّ استثمارها لا يتيسّر في كثير من الحالات. فتأمين الغذاء و اللّباس و السكن بحاجةٍ إلى جدٍّ و اجتهاد و عمل. من هنا، فالعمل في قانون الطبيعة وسيلة إلى فاعليّة آثار الظواهر الطبيعيّة، و إعدادها لاستثمار الإنسان إيّاها.

و في ظلّ العمل و السعي وحدهما تكون الزراعةُ، و تُنْتج الموادّ الغذائيّة. و في ظلّهما تُصنَع الآلات و الوسائل، و هكذا سائر ما يحتاج إليه الإنسان. لذلك أصبح العمل ضرورةً للإنسان. و قامت هذه السُنّة و القانون الربّانيّ علىٰ أساس حكمةٍ و جبت لكي تَسْتمرّ حياة الإنسان؛ لأنّ لهذه الجهود ضرورةً لاشكّ فيها من أجل الكينونة و الصيرورة، و فاعليّة القوىٰ البدنيّة، و النموّ العقليّ، و ازدهار القابليّات الفطريّة للإنسان.

قال تعالىٰ: **لقد خلقنا الإنسان في كبد.**[٢]

ولا يتباهىٰ الإنسان بجوهر وجوده و لايُكتَب له الدوام إلّا بالجدّ و الاجتهاد و المعاناه. أمّا إذا كانت هناك بِطالةٌ، و خُمول، و قعود بلا سعي، فإنّ الإنسان يُمنىٰ بالخمود، و الضعف، و الركود، أو أنّه يقضي علىٰ أصل وجوده أو

---

١ ـ وسائل الشيعة ١٢:١٨؛ الحياة ٥: ٣٢٠.

٢ ـ البلد: ٤.

يتلف رشده و رُقيّهُ و سلامته.

قال أميرالمؤمنين عليّ«ع»: **من يعمل يزدد قوّةً.**[١] و قال«ع»: **من يقصّر في العمل يزدد فترةً.**[٢]

و بيّن الإمام الصادق«ع» في حديثٍ له فلسفة الحاجة إلىٰ العمل، فقال: **«...و هكذا الانسان لو خلا من الشغل لخرج من الأشر و العبث و البطر إلىٰ ما يعظم ضرره عليه... لأنّه لو كفي هذا كلّه [كُفي العمل، أي: إذا لم يعمل] حتّى لايكون له في الأشياء موضع شغل و عمل لما حملته الارض أشراً و بطراً، و لبلغ به كذلك إلىٰ أن يتعاطى أُموراً فيها تلف نفسه...»**[٣]

و ليس جسد الإنسان وحده بحاجةٍ إلى العمل، بل إنّ روحه و قواه المعنويّة، و فكره، و ثقافته، و تربيته، و سلامة نفسه، كلّها مرتبطةٌ بالعمل. و في ضوء كلام الإمام الصادق«ع»، إذا كان الإنسان لايحتاج إلى العمل، و أمضىٰ وقته في البِطالة، فإنّه يسير نحو الفساد و الضياع. ولايجد بُدّاً من صرف قوته و طاقته في طُرق تنتهي بإبادته هو و بني جنسه. من هنا، يتعيّن علىٰ الإنسان أن يجدّ و يجتهد كضرورةٍ، و في تعبير الإمام الرضا«ع»: «لابدّ». أي لابدّله من العمل لكي يأمن من تبعات البطالة، و العبث، أو الطغيان و الرفاهيّة و حبّ الراحة.

---

١ ـ غرر الحكم: ٢٦٩؛ الحياة ٥:٢٩٣.

٢ ـ نفسه.

٣ ـ بحارالأنوار ٣:٨٦؛ المعايير الإقتصاديّة في التعاليم الرضويّة: ٢٢٤.

٣٥ ـ العمل في نظام الشريعة

قال الإمام الرضا«ع»: **الَّذي يطلب من فضل الله ـ عزّوجلّ ـ ما يكفّ به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل‌الله عزّوجلّ.**[١]

إنّ الإنسان مكلّفٌ في ظلّ التعاليم الدينيّة بإتّباع قانون الطبيعة، و تكييف نفسه مع النظام الكَونيّ. و وفقاً لكلام إمام الإنسان العظيم فإنّ للساعي الَّذي يسعىٰ إلىٰ تحسين حياة أُسرته أجراً أكبر من أجر المجاهدين في سبيل‌الله. و في ظلّ العمل و السعي وحدهما يشعر الإنسان و أفراد أُسرته بالأمن، و تكون لهم شخصيّتهم الإجتماعيّة، و تتهيّألهم أرضيّة النموّ العقليّ والجسدي و يصبحون متديّنين راسخين، و يعملون بواجباتهم الإلهيّة بلاقلقٍ ولااضطراب.

و إذا حُرِم الإنسان من الموادّ و البضائع التي يحتاج إليها، فكيف يصلّي، و يصوم، أو يحجّ و يجاهد؟

قال النبيّ «ص»: **اللّهم بارك لنا في الخبز، ولاتفرّق بيننا و بينه، فلولا الخبز ما صلّينا و لاصمنا ولا أدّينا فرائض ربّنا.**[٢]

الخبز في هذه الحكمة النبويّة رمز الموادّ الغذائيّة، و يتوفّر في ظلّ الأعمال الزراعيّة و الصناعيّة.

---

١ ـ الكافي ٥:٨٨؛ مسند الإمام الرضا«ع» ٢:٢٩٩.

٢ ـ الكافي ٥:٧٣.

و كان القادة الربّانيّون الحقيقيّون يعرفون الحياة الحسّيّة و الحقيقيّة للإنسان، و يهتمّون بها في التخطيط و التشريع. فهم لم يفكّروا تفكيراً ذهنيّاً و خياليّاً، و لم يطلبوا من البطون الجائعة و الفقراء تقوىٰ و عبادة و غيرهما.

و تستبين من الحديث النبويّ و كلام الإمام الرضا«ع» حقيقةٌ أخرىٰ أيضاً، و هي صلة الأخلاق و المعنويّات بالقضايا الماديّة و المعيشيّة، لأنّ الجهاد في سبيل‌الله هو أعلىٰ القيم المعنويّة، و يرتبط بالسعي و العمل من أجل تأمين حياة الأسرة و الأولاد، و إنّ مجموعة الأعمال اليوميّة للإنسان التي تُمارَس من أجل سدّ حاجاته هو و أُسرته، عملٌ معنويّ، و قاعدة للعروج إلىٰ أعلىٰ منزلة عندالله سبحانه و تعالىٰ.

٣٦ ـ علاقة المحبّة و المودّة

روىٰ الإمام الرضا«ع» عن النبيّ «ص» أنّه قال: **لاتزال أمّتي بخير ما تحابّوا و تهادوا...**[١]

إنّ العلاقة علىٰ أساس الحبّ و الوُدّ في المجتمع هدف المصلحين و علماء الاجتماع، إذ يتعايش الناس بالحبّ و الوُدّ، و يتآسوا و يُـزيل بـعضهم غـمّ البعض الآخر، و يعيشون جميعاً حياةً حميمةً دافئةً.

و لم يكن كالحبّ عاملاً قويّاً لتقريب شخصين في المجتمع. و يمكن أن نقول حقاً: إنّ العلاقات الاجتماعيّة العضويّة لاتـتحقّق إلّا فـي ظـلّ الحبّ. و مثلما يحبّ الانسان أعضاء جسده و يرعىٰ راحتها تماماً، فكذلك يكـون الأشخاص في الجسد الإجتماعيّ كأعضاء فيه، و يفكر كلٌّ منهم في رفاهيّة الآخر و سلامته كما يفكّر برفاهيّته و سلامة نفسه. من هنا، اعتبرت التعاليم الإسلاميّة الصانعة للإنسان الحبّ في المجتمع أكثر الأخلاق قيمةً.

قال النبيّ«ص».: **أشدّكم حبّاً لله أشدّكم حبّاً للنّاس.**[٢]

و قال الإمام الباقر«ع»: **...و هل الدّين إلّا الحبّ... الدّين هو الحبّ و الحبّ هو الدّين.**[٣]

---

١ ـ وسائل الشيعة ٢٠٢:١١.

٢ ـ مستدرك الوسائل ٣٥٨:١٢.

٣ ـ بحارالأنوار ٢٣٨:٦٩.

و قال الإمام الصادق«ع»: **إنّ المسلمَيْن يلتقيان، فأفضلهما أشدّهما حبّاً لصاحبه.**[١]

إنّ أعلىٰ معيار لتقويم إنسانَيْن هو كلام الإمام الصادق«ع»، و الشيء العُجاب حقّاً هو أنّ قدر كلّ إنسان و منزلته و قيمته ترتبط بمقدار حبّه للآخرين. و هذا يصوّر لنا أرقىٰ العلاقات الإجتماعيّة و أسماها، و هو قلّما يَرِد في نظامٍ و مدرسةٍ من المدارس الفكريّة.

---

١ ـ الكافي ٢:١٢٧.

٣٧ ـ إفراح الناس

قال الإمام الرضا«ع»: ... **و احرصوا علىٰ قضاء حوائج المؤمنين، و إدخال السّرور عليهم، و دفع المكروه عنهم، فإنّه ليس شيء من الأعمال عندالله ـ عزّ و جلّ ـ بعد الفرائض أفضل من إدخال السُّرور علىٰ المؤمن.**[1]

إنّ توسيع نطاق الفرح في المجتمع و إدخال السرور في قلوب آحاد الناس عملٌ إسلاميٌّ و إنسانيٌّ، و هو أعلىٰ الأخلاق الربّانيّة في الحساب. و يتحقّق إدخال السرور في مُستواه الواطىء من خِلال أنواع المزاح، و الطرائف و الفكاهات، لكنّ إدخال السرور الأصليّ هو قضاء حوائج الناس و علاج مشاكلهم. و يمكن للناس المبتلين في فَخِّ الحوائج و مشاكل الحياة و التضخّم القاتل أن يغفلوا لحظةً، و يتبسّموا بأنواع المزاح اللّفظيّ. بَيْدَ أنّ شيئاً لا يعالج ضغط المشاكل الناجمة عن فقدان السكن، و الفقر، و المرض، و الحرمان الموجع إلّا برفعها عن كاهل الناس.

من هنا، بدأ إمام الإنسان العظيم كلامه بقضاء الحوائج الموجب لإدخال السرور، ثمّ عرض إدخال السرور علىٰ الناس. أي: أفرحوهم بقضاء حوائجهم، و اهدوا لهم الرخاء و السكينة.

و يُشير«ع» بقوله: «.. و احرصوا...» إلىٰ أنّ الإفراط والحرص شيءٌ مذموم

---

١ ـ بحارالأنوار ٣٤٧:٧٨.

في كلّ مكان ولاقيمة له إلّا في إدخال السرور علىٰ الناس و قضاء حوائجهم، فإنّه محمود، و هو من الأخلاق الإنسانيّة و الإسلاميّة.

و قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع»: **الإسراف مذموم في كلّ شيءٍ إلّا في أفعال البرّ.**[1]

١ ـ مستدرك الوسائل ١٥:٢٧١.

٣٨ ـ العقد و الوفاء بالعهد

روىٰ الإمام الرضا«ع» عن آبائه«ع»، عن عليّ«ع» أنّه قال: **سمعتُ رسول‌الله «ص» يقول: عِدةُ المؤمن نَذرٌ لاكفّارةَ له.**[١]

إنّ الوفاء بالعهد، و الالتزام بالوعود و المواثيق و العقود موضوع اجتماعيّ يرتبط به نظم المجتمع و رسوخ العلاقات الإجتماعيّة. من هنا، أكّد الدين العقود و الوفاءَ بالعهود تأكيداً جمّاً. حتّىٰ جاء في التعاليم الإسلاميّة أنّكم إذا وعدتم صغاركم ففوا لهم و لاتبذروا بذرة نكث العهد في أنفسهم.

قال الإمام الرضا«ع»: **إنّا أهل بيتٍ نرىٰ ما وعدنا علينا دَيناً كما صنع رسول الله «ص».**[٢] (أي: كانوا يرون الوعد كالدَين في ذممهم).

و هذا أعلىٰ حدٍّ للوفاء بالعهد إذ يفرضه الإنسان كالدَين في عُنقه، و يُلزِم نفسه بدفعه.

---

١ ـ بحارالأنوار ٧٥:٩٦.

٢ ـ بحارالأنوار ٧٥:٩٧.

٣٩ ـ الآباء و الأمّهات

قال الإمام الرضا«ع»: **حرّم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله عزّوجلّ: ... و ترك التّربية بعلّةِ ترك الولد برّهما.**[١]

عرض هذا الحديث ضَررَين من أضرار أذىٰ الوالِدَين. الأوّل: إنّه يؤدّي إلىٰ معصية الله سبحانه و تعالىٰ. و الآخر: إنّه يُقلِّل حبّ الوالِدَين لولدهما، ممّا يُسفر عن تركه و إهمال رشده و تربيته.

قال الإمام الرضا«ع»: **برّ الوالِدَين واجب و إن كانا مشركَيْنِ، و لاطاعة لهما في معصيّة الله عزّوجلّ.**[٢]

هذا هو الحدّ الأعلى لاحترام الوالِدَين، لأنّ عقيدة التوحيد لا أثر لها فيه، و الشرك لا يرفع ذلك الفرض من عاتق الإنسان أيضاً.

قال مُعَمَّر بن خلّاد: قُلت للإمام الرضا«ع»: **أدعو لوالديَّ إذا كانا لا يعرفان الحقّ؟ قال: أُدع لهما و تصدّق عنهما، و إن كانا حَيَّينِ لا يعرفان الحقّ، فدارِهما، فإنّ رسول الله «ص». قال: إنّ الله بعثني بالرّحمة لا بالعقوق.**[٣]

إنّ أفضل العمل و أعلاه في التعاليم الإسلاميّة هو الجهاد في سبيل الله، و لاعمل أعلىٰ منه. مع هذا، إنّ ساعة أُنسٍ مع الأُمّ، و خدمتها أفضل من جهاد

---

١ ـ بحارالانوار ٧٤: ٧٤.

٢ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢: ١٢٤.

٣ ـ الوافي ٥: ٤٩٨.

سَنَةٍ، لاسيّما جهادٍ في ركاب رسول الله «ص».

«أتى رجلٌ رسول الله «ص»، فقال: إنّي رَجُلٌ شابٌّ نشيط و أُحبّ الجهادَ ولي والدةٌ تكره ذلك. فقال له النّبيّ «ص»: **ارجع فكُن مع والدتك. فوالَّذي بعثني بالحقّ نبيّاً لَأُنسها بك ليلةً خيرٌ من جهادك في سبيل‌الله سنةً.**»[1]

---

١ ـ الكافي ٢:١٦٣.

٤٠ ـ الاعتدال

قال الإمام الرضا«ع»: **إنّ الجسد بمنزلة الأرض الطيّبة متىٰ تُعُوهِدَت بالعمارة و السَّقي، من حيثُ لايزدادُ في الماء فتغرق، و لايُنَقَص منه فتعطش، دامت عمارتُها، و كَثُر رَيعُها، و زكى زَرعُها، و إن تُغُوفِل عنها فَسَدت، ولم يَنبُت فيها العُشبُ. فالجَسَدُ بهذه المنزلة.**[1]

إنّ الاعتدال حيث كان، بخاصّة في حياة الإنسان، مبدأٌ جوهريٌّ و أساسى، و مراعاته تؤدّي إلى الاتّزان و التعادل في شتّىٰ مناحي الحياة.

فهو في القسم الروحيّ و الأخلاقيّ يؤدّي إلى تكامل الأخلاق و تعالي المعنويّات. أي: إنّ الإنسان إذا ابتعد عن الإفراط و التفريط في أحواله و أخلاقه الخاصّة فقد اهتدىٰ إلىٰ الكمال الأخلاقيّ. إذ يُراعي المقدار و الحدّ الوسط في الحبّ و البغض، و الفرح و الحزن، و الكلام و السكوت، و... . و يتجنّب الحبّ المُفرِط جدّاً. كما أنّه لايُفرِط في البغض؛ و يراعي الاعتدال و التوازن في الفرح و الترح، ولايحمل الهموم و الغموم، ولايَكتَئِب دائماً، كما أنّه لايرغب في الفرح و السرور رغبةً مستمرّةً، حتّىٰ يُهمل مشاكل الحياة و هموم الآخرين، بل يحزن لحزن الآخرين، و يفرح لفرحهم و فلاحهم الفرديّ و الاجتماعيّ. فهذا الشخص يتمتّع بسلامةٍ روحيّةٍ و أخلاقيّةٍ. إذ تمكّن من أن

---

١ ـ بحارالأنوار ٦٢: ٣١٠

يجعل سجاياه الباطنيّة متّزنةً متعادلةً، و يخرج إنساناً اعتياديّاً طبيعيّاً، و تكون له نفسٌ مستقيمة، و يبتعد عن جميع أنواع الشذوذ المتولّدة من الإفراط.

و هكذا، يتعيّن أن تكون سائر أقسام حياته، كالعمل و البطالة، والغنى والفقر، و الشِبَع و الجوع، و اللذّة و تركها، و السعي الضامن لاستمرار الحياة الإنسانيّة، بمقدار. و تكون ساعات فراغه و استراحته بنحوٍ لا يعمل معه عملاً يضرّ صحّته و صحّة أُسرته، ولا يكون بطّالاً بطالةً تجعله خاملاً كئيباً، و كذلك في اليُسر و العُسر، لا يكنزْ ثروةً تُطغيه فلا يعرف حلالاً ولا حراماً ولا حقّاً ولا حقوقاً، و يحصل على ثروات طائلة. و لا يكن فقيراً مُعسراً بحيث يُحرم من أبسط ضروريّات الحياة.

فليدَع هذين الأمرين [كنز الثروة و الإعسار] و ينتهج الاعتدال و الطريق الوسطى في جميع شؤونه.

قال أميرالمؤمنين عليّ«ع»: ... **والرابع: العدل و قوامه في اعتدال قوى النفس...**[1]

و ينبغي مراعاة مبدأ التوازن و الاعتدال أيضاً في العبادة التي هي أعلى عملٍ إنسانيّ. و هذه الحكمة الرضويّة مبدأٌ كلّيّ و قانونٌ عام في مجموعة الحياة البشريّة.

---

١ ـ بحارالأنوار ٧٨: ٨١.

٤١ ـ المحكمة و القاضي في المدينة الرضويّة المثاليّة.

قال الإمام الرضا«ع»: **اعلم أنّه يَجب عليك أن تساوي بين الخصمَيْن حتّى النّظر إليهما، حتّى لايكون نَظَرُك إلى أحدهما أكثر من نَظَرِكَ إلى الثاني.**[١]

إنّ العدالة و القضاء في المحاكم من التعاليم و القوانين الكريمة جدّاً في الإسلام، و للمحاكم الإسلاميّة خصائص و مزايا قلّما تتوفّر في محكمةٍ من محاكم العالم قاطبةً.

و ورد تأكيدٌ كثير علىٰ العدالة في القضاء في «نهج‌البلاغة». فقد قال الإمام العظيم عليّ«ع» في كتابٍ له إلى الأسود بن قطيبة حاكم حُلوان:

أمّا بعدُ، فإنّ الوالي إذا اختلفَ هواهُ منعه ذلك كثيراً من العدل. فليكن أمرُ الناس عندك في الحقِّ سواءً فإنّهُ ليس في الجور عِوَضٌ من العدلِ.[٢]

و استأثرت فقرات من عهد الإمام«ع» إلى مالك الأشتر ـ الَّذي يُعتَبَر من أفضل البرامج الحكوميّة و أمثلها و من أعلىٰ المناهج في رعاية حقوق الناس ـ بالقضاة، و صفات القاضي الإسلاميّ العادل و خصاله. فقال«ع» لصاحبه و نصيره المضحّي مالك الأشتر: **ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك..**[٣]

---

١ ـ مستدرك الوسائل ١٧: ٣٥٠.

٢ ـ نهج‌البلاغة: الكتاب ٥٩.

٣ ـ نفسه: الكتاب ٥٣.

من هنا، عُدَّ القضاء عملاً من أعمال الأنبياء، لأنّ هذا العمل البالغ الأهميّة لا يضطلع به كُلُّ أحد. و كيف يمكن أن يحضر الأقارب و الأصدقاء و المعارف في المحكمة مع الغرباء، و يُعطي الإنسان الحقّ للغريب، و يضرب صفحاً عن جميع تلك العلاقات؟ و إذا فعل ذلك، فقد سلكَ سلوكاً إسلاميّاً.

٤٢ ـ اللُّطف بالأهل

روىٰ الإمام الرضا«ع» عن النبيّ«ص» أنه قال: **أحسن الناس إيماناً أحسنهم خُلُقاً و ألطفهم بأهله، و أنا ألطفكم بأهلي.**[١]

وردت كلمة «المعروف» في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرّةً. و يختصّ قُرابة نصفها بنوع المعاملة مع النساء و ضوابطها.

«إنّ كلمة «المعروف» التي كَثُر استعمالها في التعاليم الدينيّة، و بها أيضاً ورد التعليم الإجتماعيّ «الأمر بالمعروف» ذات معنىٰ أعمق و أوسع من القانونيّة و العدالة... و كذلك تَضُمُّ الأعمال القِيَميّة و الأخلاقيّة و الإنسانيّة. أى: السلوك الَّذي هو أكثر من الحقّ و العدل، و هو نوعٌ من الإحسان و عملٌ جديرٌ بالقِيَم الإنسانيّة الساميّة...»[٢]

«المعروف اسم جامع لكلّ ما عُرف من طاعة الله، و التقرّب إليه، و الإحسان إلىٰ الناس، و كلّ ما يندب إليه الشرع من المحسّنات و المقبّحات... المعروف اسمٌ لكلِّ فعلٍ يُعرَف حسنه بالشرع و العقل...»[٣]

قال الإمام الصادق«ع»: ... و من حَسُنَ برّه بأهله زاد الله في عُمُره.[٤]

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:٣٨.

٢ ـ دفاع عن حقوق المرأة (فارسيّ): ٦٤.

٣ ـ مجمع البحرين ٣:١٥٩، ٢٥٦.

٤ ـ بحارالأنوار ١٠٣:٢٢٥.

إنّ لكلٍّ من المرأة و الرجل حقوقاً علىٰ بعضهم البعض في الإسلام. أي: إذا كان علىٰ الرجل أن يُراعي جانب المرأة أكثر، و يهيّىء أسباب راحتها، فعلىٰ المرأة أن تخدم الرجل أيضاً، و تأخذ بعين الاعتبار قدرته و نشاطه في مواجهة شؤون الحياة، و تَتجنّب الطلبات التي تَشقُّ عليه. و لحسن التَبعُّل من الأهميّة الفائقة إذ عَدَّه النبيُّ«ص» جهاداً في سبيل الله. قال«ص»: **جهاد المرأه حُسنُ التبعُّل.**[1]

لذلك فإنّ إعطاء النساء جميع الحقوق،[2] و إهمال الجهود المُضْنية التي يقوم بها الرجال في هذه الحياة المُرهقة عملٌ غير إسلاميّ و غير عادل. و لا يَسْتَتْبعُ إلّا اضمحلال الأُسرة و كثرة الطلاق، كما نراه اليوم في مجتمعنا.

حتّى إنّ مشرِّعي القوانين يتّبعون هذا القانون أيضاً. و علىٰ الذين يتولّون أمر الأمّة أن يتجنّبوا كلّ نوع من ردود الفعل حقّاً. و لمّا تعرّض النساء للظلم في فترةٍ ما، فانّهم يشرّعون قوانين لظلم الرجال كردّ فعلٍ منهم على ذلك، ممّا يؤدّي إلىٰ صلافة بعض النساء المتهوّسات غير الملتزمات و وقاحتهنّ. و يقيمون المحاكم في كلّ يوم لنساءٍ لا يعرفن الصفح و الانسجام، و يطالبن باضمحلال الأُسْرة.

و أنا دافعتُ عن النساء في كتابي الَّذي يحمل عنوان «دفاع عن حقوق المرأة»، بيد أنّه لا ينبغي الدفاع عن نساءٍ متهوّسات يدمّرن كيان الأُسرة، و لا ينبغي إعطاؤهنّ الحقَّ.

---

١ ـ نفسه ١٠٧:١٨.

٢ ـ كما دُرِجَ عليه في الجمهورية الإسلاميّة.

٤٣ ـ الحبّ الأكثر للبنات

قال الإمام الرضا«ع»: قال رسول الله«ص»: **إنّ الله تبارك و تعالىٰ على الإناث أرقّ منه على الذكور. و ما من رَجُل يُدخل فرحةً علىٰ امرأةٍ بينه و بينها حرمةٌ إلّا فرّحه الله يوم القيامة.**[١]

أكّدت التعاليم الإسلاميّة الحبّ الأكثر للبنات تأكيداً جمّاً. من هنا فانّنا نرىٰ أنّ مبدأ «المساواة» من مبادىء الإسلام التي لاشكّ فيها، و رعايتة متعيّنة علىٰ الجميع، بيد أنّها غير متعيّنة بشأن البنات، إذ التفريق بين الذكر و الأُنثى هو الأفضل.

و لعلّ من أسباب ذلك عاطفة النساء الأكثر و لطافتهنّ و رقّتهنّ و غضاضتهنّ.

قال رسول الله«ص»: **مَن دخل السُوقَ فاشترىٰ تُحفةً فحملها إلى عِياله... و ليبدأ بالإناث...**[٢]

و على أساس هذا المعيار نجد في كتاب «وسائل الشيعة» باباً عنوانه: «... استحباب زيادة الرقّة علىٰ البنات و الشفقة عليهنّ أكثر من الصبيان».[٣]

و هذه مزيّة لجنس المرأة إذ تُستثنىٰ من قانون المساواة العامّ و الشامل.

---

١ ـ وسائل الشيعة: ٣٦٧:٢١.

٢ ـ نفسه ٥١٤:٢١.

٣ ـ دفاع عن حقوق المرأة: ١٢١. (فارسى)، الطبعة الخامسة، مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

٤٤ ـ الحريّة في الاختيار

روىٰ الإمام الرضا«ع» عن آبائه«ع»، عن عليّ«ع» أنّه قال: إنّ **المسلمين قالوا لرسول الله«ص»: لو أكرهت يا رسول‌الله من قدرتَ عليه من الناس علىٰ الإسلام لَكَثُر عددنا، و قوينا على عدوّنا. فقال رسول‌الله«ص»: ما كنتُ لألقىٰ الله عزّوجلّ ببدعةٍ لم يُحدث إليّ فيها شيئاً، و ما أنا من المتكلّفين. فأنزل الله تعالى عليه: يا محمّد! (ولو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً) على سبيل الإلجاء و الإضطرار في الدنيا كما يؤمنون عند المعاينة و رؤية البأس في الآخرة. و لو فعلت ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً و لامدحاً، لكنّي أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرّين، ليستحقّوا مِنّي الزُلفى و الكرامة و دوام الخلود في جنّة الخلد (أفأنت تُكره الناس حتّى يكونوا مؤمنين)...**[1]

تبيّن هذه الحكمة الرضويّة الصادقة المناصرة المبدئيّة لحقوق الانسان، و قيمة الإنسان، و حرمة الحريّة، و حريّة الفكر في اختيار الطريق و خطّ العمل. و لمصادرة هذه الحريّة، و الإكراه الفكريّ و الإعتقاديّ التأثير السلبيّ الأكثر على شخصيّة الإنسان. و إذا أُكره الإنسان على الفكر و العقيدة، و لم يستطع أن يُفكّر بحريّةٍ فيعتقد بشيءٍ و يختاره، فإنّه لا يستطيع أن يعمل بحريّةٍ في ميادين الحياة، و يسير في طريقه المختار.

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ١: ١٣٥.

ولاقيمة لتبنّي الفكر و اختيار الطريق من وحي الإكراه، إذ لا يستتبع عقيدةً صحيحة و مؤثّرة. و بهذه العقائد المفروضة، يُفكّر الإنسان دائماً في طريق الفرار، ولا يهتمّ بالعقيدة المفروضة بأيّ أسلوبٍ و حيلةٍ كانت. و للعقائد الدينيّة تأثيراتٌ أساسيّةٌ و عميقة بالغة، و تدفع الإنسان إلى العمل في رحاب عقيدتهسرّاً و علانيةً، كما رأينا ذلك عند المؤمنين الحقيقيّين بالدّين على مرّ التاريخ.

من هنا، ينبغي للناس أن يختاروا طريقهم بأنفسهم، و يتبنّوا عقيدتهم، و يُديروا مسرح حياتهم بأنفسهم، و يكونوا أبطال ذلك المسرح. و هذا الاختيار هو الَّذي يجعل الإنسان أهلاً للثواب أو العقاب، و يجعله في المجتمع مستحقّاً للمدح أو القدح. و هذا هو طريق الإسلام و نهجه و طريق قادته و نهجهم.

من هنا، نرى أنّ الأنبياء، كما صوّرهم القرآن الكريم مراراً، كانوا مشغولين بالدعوة و بثّ الفكر، و كانوا يُثبتون كلامهم بالمنطق و الأدلّة العقليّة، و كانوا يُبطِلون الطرق البشريّة غير الصحيحة و يجعلونها عديمة القيمة. و ما نراه في القرآن الكريم من دعوة الجميع إلى التفكّر، و التعقّل، و التقصّي، و التعمّق في آيات الخلق، و طلبه التحليل الدقيق للآراء، و وصفه أُولي الألباب بأنّهم يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، كلّ أولئك من أجل تأصيل الفكر البشريّ و إرادة الإنسان في الإختيار.

٤٥ ـ التفكّر

قال الإمام الرضا«ع»: **ليس العبادة كثرة الصّيام والصلاة، و إنّما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله.**[١]

إنّ عبادةَ الله المقرونة بالتفكّر و المعرفة ذاتُ قيمة في مدرسة الإمام الرضا عليه السلام .و العبادة المنطلقة من العقل هي العبادة؛ أي: إنّ الإنسان يدعو و يبتهل و يتضرّع و يقترب من روح العبادة بفكره و توجّهه الباطنيّ.

«لا يجد الباحث ـ في مجال التربية و التعليم ـ في سائر الأديان و الأنظمة الاجتماعيّة، و فيما رسمه الإنسان خلال تاريخه الطويل ذاك الَّذي جاء في الإسلام من إجلال التفكير و الحثّ عليه. فلقد جعل الإسلام **فكرة ساعة خير من عبادة سنةٍ**[٢] **وَعَدّ التفكّر حياة قلب البصير**[٣]».[٤]

و قال الإمام الرضا«ع»: **التفكّر مرآتك تُريك سيّئاتك و حسناتك.**[٥]

و يتسنّى للإنسان، بتفكّرِهِ في عالمه الباطنيّ، أن يدرك سجاياه الروحيّة، و يعرف سلبيّاته و مثالبه، و يفكّر برفعها و إصلاحها.

---

١ ـ بحارالأنوار ٧٥:٣٣٥؛ الكافي ٢:٥٥.

٢ ـ بحارالأنوار ٧٥:٣٢٦؛ حديث نبويّ «ص».

٣ ـ الكافي ١:٢٨. كلام الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام

٤ ـ الحياة ١:٣٤٦.

٥ ـ بحارالأنوار ٧١:٣٢٥.

قال النبيُّ«ص»: **يا أباذرّ! ركعتانِ مقتصدتان في [الـ] تفكّرٍ، خير من قيامِ ليلةٍ والقلبُ ساهٍ.**[١]

«إنّ الاسلام قد كرّر الدعوة إلىٰ التفكير و التعقّل، و إلىٰ تبنّي الأُصول الدينيّة تبنيّاً اجتهاديّاً ـ و هو التبنّي العقليّ الشخصيّ المستقلّ ـ ولا يعتقد بصحّة التقليد فيها.»[٢]

و قال«ص»: **يا عليُّ! إذا تقرّب العباد إلىٰ خالقهم بالبرّ، فتقرّب إليه بالعقل تسبقهم.**[٣]

هذا الكلام النبويّ الرفيع يجعل العقل في أعلىٰ منزلةٍ و أسمىٰ مكانةٍ، و هو ما لايُلحَظ في أيّ فكرٍ و مدرسةٍ و نظام.

و نقل المرحوم العلاّمة محمّد تقي الجعفريّ هذا الحديث علىٰ لسان ابن سينا.

---

١ ـ ثواب الأعمال: ٦٨؛ الحياة ١:٨٩.

٢ ـ الحياة ١:٣٥٩.

٣ ـ مشكاة الأنوار: ٢٥١.

٤٦ ـ تعلّم العلم طول العمر

قال الإمام الرضا«ع»: ...**ولا يملُّ مِن طلبِ العلم طول دهره.**[١]

إنّ المجتمع الرضويّ المثاليّ زاخرٌ بالعلم و المعرفة؛ و لامكان فيه للجهل و عدم المعرفة. فيهتمّ الناس فيه بمعرفة الله و الإنسان والعالم. و يتعمّقون في الدين بخاصّة، و يرسّخون أسسهُ علىٰ دعامة المعرفة.

ولا يعرف أتباع ذلك الإمام العظيم زمناً محدوداً للقراءة و العلم و المعرفة، ولا يقولون: يتعيّن تعلّم العلم في مرحلة الشباب و في المعاهد أو الجامعات، و إذا فاتَتْ هذه، فلاعلم ولاكتاب و لامطالعة! لا، ليس الأمر كذلك بل يعتقدون ـ كما قال إمامهم ـ أنّ طلب العلم يجب أن يكون طوال العمر و علىٰ مدىٰ الحياة، ولايُغفَل لحظةً واحدةً عن هذه الحركة الحيويّة، و تُمحىٰ نقاط الجهل واحدةً تِلْو الأخرىٰ.

إنّ آيات القرآن و تعاليم الإسلام كلّها تدعو إلى العلم و المعرفة و تنميتهما. و هذا واجبٌ عامٌّ.

قال رسول‌الله«ص»: **طلب العلم فريضةٌ على كلّ مسلم و مسلمة.**[٢]

يُقسَم المجتمع إلىٰ ثلاثة أقسام: العلماء؛ و المتعلّمين؛ والجاهلين الذين لايجهدون أبداً في طلب العلم و المعرفة، ولايختلفون إلىٰ العلماء و لاعلاقة

---

١ ـ تحف العقول: ٣٣٠.

٢ ـ بحارالأنوار ١:١٧٧؛ الحياة ١: ٧٠. (الترجمة الفارسيّة).

لهم بهم، و هم عن الكتاب و مطالعته بعيدون. و هذه الطبقة تطوي طريق هلاكها من منظار التعاليم الإسلاميّة.

قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع»: **أُغدُ عالماً أو متعلّماً، فلاتكن الثالث فتعطب.**[١]

إنّ العلم و المعرفة ضروريّان قبل كلّ عملٍ، و في أيّ مجالٍ كان الأمرُ، ولا يصحّ عملٌ بلاتحليلٍ و دراسةٍ و معرفةٍ لازمةٍ، ولاثمر فيه.

قال الإمام الصادق«ع»: **العامل علىٰ غير بصيرةٍ كالسائر علىٰ غير طريقٍ، فلاتزيدُه سُرعةُ السَّير إلّا بُعداً.**[٢]

---

١ ـ الحياة ١:٧١.

٢ ـ نفسه ١:٩٩؛ تحف العقول: ٢٦٦.

٤٧ ـ معيار قيمة الإنسان

قال الإمام الرضا«ع»: قال رسول‌الله«ص»: **من استذلّ مؤمناً أو حقّره لفقره، أو قلّة ذات يده، شهره الله يوم القيامة، ثمّ يَفضَحه.**[١]

القيمة في مدرسة الإمام«ع» الربّانيّة للإنسان و الإنسانيّة، ولا أدنى تأثير لشيء آخر في هذا النظام القِيَميّ. فليس للثروة، و المنصب، و السلطة السياسيّة، و العسكريّة، و الاقتصاديّة، و... ، واللون، و العِرق، و الأُسرة أقلّ قيمة. من هنا، يتساوىٰ العامل البسيط ـ في أقلّ مستوىٰ معيشيّ ـ و ربّ العمل و صاحب المعمل، و الفلّاح و مالك الأرض، و المأمور و الآمر، و جماهير الناس و الحكّام.

ولافضل لسكّان القصور و أصحاب الذهب علىٰ سكّان الأكواخ والمتبذّلين و الحُفاة.

وفي رؤية الإسلام هذه للإنسان يتميّز النظام الإقتصاديّ الإسلاميّ والرضويّ عن النظام الرأسماليّ. «ونظرة الإنسان للإنسان في المجتمع و النظام الرأسماليّ لاتنطلق من نافذة القيم المعنويّة و الإنسانيّة، بل تنطلق من نافذة رأس المال، و الإنتاج، و الربح و من ثمّ يتّخذ الإنسان في رأي الإنسان طابع الآلة، و يستبدل «الشيء» بالإنسان، فتدور العلاقات الإجتماعيّة

---

١ ـ عيون أخبار الرضا«ع» ٢:٣٣.

للمجتمع البشريّ علىٰ محور «شيئيّة» الشخصيّة الإنسانيّة و آليّتها، ولا تُلحَظ الأخلاق و القيم المعنويّة الرفيعة في علاقات الناس. و هذا على عكس الرؤية و المعايير في المجتمع الرضويّ والنظام الإسلاميّ، التي عرضها ذلك الإمام العظيم علىٰ البشريّة. و ينظر النظام الرضويّ إلىٰ الإنسان بوصفه موجوداً ربّانيّاً و عنصراً إلٰهيّاً، و مركزاً للفضائل الأخلاقيّة و حاملاً لروح «إلهيّة خالدة... و العلاقة بالإنسان و تقديره هي علاقة بالخالق و تقديره...»[١]

قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع»: **من أتى غنيّاً فتواضع له لِغناه، ذهب ثلثا دينه.**[٢]

و كان للنبيّ«ص» و الأئمّة«ع» هذه السيرة في العمل. إذ كانوا ينظرون الىٰ الناس جميعاً نظرة متساوية. و القصّة التي جرت في بداية دخول النبيّ«ص» إلىٰ المدينة مثال واحد من آلاف الأمثلة علىٰ سيرته الربّانيّة الإنسانيّة«ص». و نقلها العلّامة المجلسيّ في كتاب «بحارالأنوار» كما يأتي: «لمّا قدم النبيّ«ص» المدينة، تعلّق الناس بزمام الناقة. فقال النبيّ «ص»: **يا قوم دعوا الناقة فهي مأمورة، فعلىٰ باب من بركت فأنا عنده.** فأطلقوا زمامها، و هي تهفّ في السير حتّى دخلت المدينة فبركت علىٰ باب أبي أيّوب الأنصاري. ولم يكن في المدينة أفقر منه. فانقطعت قلوب الناس حسرةً علىٰ مفارقة النبيّ«ص».»[٣]

---

١ ـ المعايير الاقتصاديّة في التعاليم الرضويّة: ٤٣٠، ٤٣١.

٢ ـ نهج البلاغة، الحكمة ٢٢٨.

٣ ـ بحارالأنوار ١٩: ١٢١؛ الحياة ٢: ٨٥.

٤٨ ـ التودّد إلىٰ الناس

قال الإمام الرضا«ع»: **التودّد إلىٰ الناس نصف العقل.**[١]

١ ـ يدرك الإنسان العاقل أنّ الأشخاص الآخرين أعضاء في المجتمع، و هم مِهاد الحياة، و أصل الأمن الروحيّ و السلامة الجسديّة للناس، و كلٌّ منهم يسدُّ حاجات المجتمع ـ بما فيهم الفرد نفسه ـ بشكلٍ من الأشكال و بما يُجيده من مهنةٍ و تخصّصٍ و عمل، و يحتاج الإنسان إلىٰ شخصٍ واحد أو أشخاصٍ منهم صباحَ مساءَ. و هذا موضوعٌ يقف عليه العقل.

و يدرك العقل أيضاً أنّ استثمار جهود الآخرين يتيسّر في ظلّ المحبّة و المودّة و حسن السلوك و المعاملة، لافي ظلّ المشاكسة و التعاسة و الشماتة و المهاترة. من هنا، يحظىٰ العاقل بمساعة الآخرين و عملهم عبر المودّة و المحبّة.

٢ ـ يكشف العقل أنّ جميع الأشخاص إذا انتهجوا طريق المودّة و المحبّة في العلاقات الإجتماعيّة، فإنّ نتيجة ذلك تعود إليهم؛ لأنّهم إذا ودّوا أحداً من الناس، فإنّه يودّهم أيضاً. و هكذا يصبح هذا النهج عامّاً، و يكون طبعاً و أصلاً و مبدأً و سنّةً و أخلاقاً اجتماعيّةً.

٣ ـ إنّ توسيع كلّ سجيّة و عادة في المجتمع يحتاج إلىٰ تعليم و تثقيف.

---

١ ـ تحف العقول: ٣٣٠.

وأفضل أسلوب لتعليم الأخلاق الإنسانيّة الفاضلة هو عمل الناس أنفسهم. وعمل الأبرار و الأخيار و الصلحاء أفضل مدرسةٍ لتخريج الإنسان و تربيته وأخلاقه. و الإنسان، بعمله، يعلّم الآخرين الأعمال الإنسانيّة الصالحة، بدون أن يشعر هو نفسه.

قال الإمام الصادق«ع»: **كونوا دعاة النّاس بأعمالكم، و لاتكونوا دعاةً بألسنتكم.**[١]

إنّ لغة العمل هي أكثر فاعليّةً و أبلغ تعليماً من لغة القول، بخاصّةٍ عند الشباب الذين كَثُر ما يتمرّدون علىٰ النصائح و المواعظ ـ لاسيّما إذا كانت غير مدروسة و موزونة ـ بيد أنّهم يتّعظون و يتأثّرون بعمل الصالحين و الأبرار.

قال الإمام أميرالمؤمنين عليّ«ع»: **إنّ الوعظ الّذي لايمجّه سمعٌ، ولايعدله نفعٌ، ما سكت عنه لسان القول و نطق به لسان الفعل...**[٢]

٤ ـ إنّ العقل بوصفه أكرم موهبةٍ ربّانيّة لايدعو إلّا إلى الخير والإحسان، و جميع القبائح و المساوئ عند الإنسان تنبثق من هوىٰ نفسه و جهله. لذلك فكلّ عمل خير و إنسانيّ و ميل إلىٰ الخير ذو منطلقٍ عقليّ، والمودّة و المحبّة ترتكزان علىٰ العقل، أمّا البغض و العداء و الحقد و الشكاسة فإنّها شيطانيّةٌ و نفسانيّةٌ، و تنبت من جهل الإنسان و سفهه.

٥ ـ تقوم الخلقة علىٰ قاعدة المحبّة. و المبدأ الأساس لتعاليم الأنبياء بسط المحبّة بين جميع الناس في أرجاء المجتمع. و عُدَّ الدينُ في بعض الأحاديث الحُبَّ **وهل الدين إلّا الحبّ... الدين هو الحبّ و الحبّ هو الدين.**[٣]

---

١ ـ أصول الكافي ٢:٧٨؛ الحياة ١:٥٢٢.

٢ ـ الحياة ١:٥٥٢.

٣ ـ بحارالأنوار ٦٩:٢٣٨؛ و الكلام للإمام الباقر«ع».

٦ ـ إنّ لعلاقة المودّة والمحبّة بالناس معطيات تـربويّة و ثـقافيّة، و هـي الموطّئة للوعي و الرقيّ العـلميّ و الأخـلاقيّ؛ لأنّ الإنسـان يسـتنير بـعقل الآخرين و علمهم من خلال المعاشرة القائمة علىٰ أساس المحبّة، كما يُظهر معلوماتهم العقليّة في حياته. فمثلما تكون مودّة الناس من إفرازات العقل، فإنّ العقل يبلغ رشده بالعلاقات الودّيّة.

قال الإمام الباقر «ع»: **ملاقاة الإخوان... تلقيح العقل.**[1]

و ما يُقال من أنّ البلدان، و الشعوب، و الحضارات، و الثقافات ينبغي أنّ تتآصر بآصرة ودّيّة، فهو من أجل استثمار عـلمها، و اكـتشافاتها العـلميّة، و اختراعاتها، و قوانيها، و آدابها، و تقاليدها، و من أجل تدارك نقائصها. و هذه كلّها تتجلّىٰ بالمحبّة و المودّة لابالعداوة و الشكاسة و الحقد.

---

١ ـ نفسه ٧٤: ٣٥٣.

٤٩ ـ أولويّة حقوق الأُمّ

قال الإمام الرضا«ع»: **واعلم أنّ حقّ الأُمّ ألزمُ الحقوق و أوجب، لأنّها حملت حيث لايحمل أحدٌ أحداً، وَ وَقَتْ بالسمع و البصر و جميع الجوارح، مسرورةً مستبشرةً بذلك، فحملته بما فيه من المكروه الَّذي لايصبر عليه أحد، و رضيت بأن تجوع و يشبع، و تظمأ و يروىٰ، و تعرىٰ و يكتسي، و تُظلّه و تضحىٰ، فليكن الشكرُ لها، و البرّ و الرفق بها علىٰ قدر ذلك، و إن كنتم لاتُطيقون بأدنىٰ حقّها إلّا بعون الله.**[1]

و استُعملت كلمة «ألزم» و كلمة «أوجب» في كلام الإمام«ع» بشأن حقوق الأُمّ. و هذا ما يدلّ علىٰ أولويّة حقّ الأمّ و أرجحيّته. و يستبين هذا الحقّ في أحاديث أُخرىٰ مأثورة عن النبيّ«ص» و الأئمّة«ع».

و منها الحديث الآتي:

قال الإمام الصادق«ع»: **جاء رجلٌ إلىٰ النبيّ«ص»، فقال: يا رسول‌الله! من أبرُّ؟ قال: أُمَّك. قال: ثمّ مَن؟ قال: أُمّك. قال: ثمّ مَنْ؟ قال: أُمَّك.**

قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال«ص»: أباكَ.[2]

---

١ ـ مستدرك الوسائل ١٥: ١٨٠.

٢ ـ الكافي ٢: ١٥٩.

يقول العلاّمة المجلسيّ:

«استدلّ به على أنّ للأُمّ ثلاثة أرباع البرّ. و قيل: لا يُفهَم منه إلّا المبالغة في برّ الأُمّ... و وجه الفضل ظاهر لكثرة مشقّتها و زيادة تعبها. و آيات لقمان أيضاً تُشعِر بذلك...»[1]

١ ـ بحارالانوار ٤٩:٧١.

٥٠ ـ التخطيط للمستقبل

قال الإمام الرضا«ع»: **ما أحسن الصبرَ و انتظارَ الفَرجِ.**[١]

ترتبط حياة الإنسان الحاضرة بمستقبل البشريّة و عاقبة العمل بحيث إنّ المستقبل المظلم و الغامض يجعل الحركة الحاليّة للإنسان عابثةً متخبّطةً و بلاهدف. و تُضيّعها معالم مقصده.

والمستقبل غير الإنسانيّ الَّذي يسوده حكم الطُغاة و أصحاب الثروة هو الباعث على يأس الناس الحاضرين و تشاؤمهم، لأنّ الإنسان إذا انتهى إلىٰ عصرٍ تسوده القوّة و المال و سيطرة أُولي السلطة، و لامكان فيه للقيم و الإنسانيّة و الحقّ و الحقوق، بعد كلّ هذا العناء، و المكابدة، و المشاقّ المضنية، و المصاعب الخانقة في التاريخ، فكيف يطيب قلبه بالمستقبل، و تكون له رؤية إيجابيّة تفاؤليّة، و يعيش علىٰ الأمل؟

من هنا، و من أجل تصويرٍ لمستقبل مشرق و لمدينة مثاليّة إنسانيّة، و لمنقَلَب متألّق زاخر بالقيم الإنسانيّة، ينبغي بادئ ذي بدء تبيان منزلة الإنسان و مكانته و كرامته، و تقديم خطّة حياتيّة يستعيد فيها كرامته المسلوبة، و لاتحلّ الأهداف المختلَقة المدخولة غير الإنسانيّة محلّ الأهداف الأصليّة و الانسانيّة، و تُرفَع جميع الأحابيل و الشبكات المعقّدة من طريق

---

١ ـ مقتطفات من كلام الإمام الرضا«ع»، الدفتر الثالث: ١٤٦.

الناس، فيلمسون الحرّيات الحقيقيّة في حياتهم، و تُفكّ جميع الأغلال و السلاسل من أيديهم و أرجلهم. و بتعبير القرآن الكريم، يتخلّص الإنسان من «الإصر و الأغلال» التي كانت عليه.

و كان هذا الهدف ضالّة الناس الأصليّة علىٰ مرّ التاريخ، و لم يتحقّق حتى الآن.

إنّ المنقذ الَّذي يظهر آخرالزمان و نهاية التاريخ هو الَّذي يحقّق تلك الأهداف الإنسانيّة الكبيرة، و يُعيد الكرامة و الحقوق الإنسانيّة كما فعل الأنبياء جميعاً، و يمهّد المجالات كلّها من أجل ذلك الهدف العظيم، و يرفع جميع العقبات و العراقيل من طريق الناس، و يحقّق ذلك في خضمّ الحياة ليستبين في أرجاء العالم بلا استثناء ولا تمييز.

و للتخطيط للمستقبل منزلة خاصّة في مدرسة الإمام الرّضا«ع». و يُنظَر إلىٰ مستقبل التاريخ برؤيةٍ إنسانيّة إيجابيّة. المستقبل الزاخر بالعدل و الحقوق و الكرامة الإنسانيّة، إذ يستمتع الناس بالأمن و الرخاء اللّذينِ لامثيل لهما. و تزول كلّ أنواع العناء، و الجهل، و الفقر، و القلق، و الرعب، و الخوف، والنقص، و الإجحاف، و الحرب، و إراقة الدماء. و تظهر الجنّة الموعودة في هذه الحياة، و يقوم الناس بتزكية أنفسهم و عبادة ربّهم بلا وَجَل، و يؤسّسون حياةً تليق بهم و بِقيمَهم.

إنّ مزيّة تعاليم الإمام الرضا«ع» في هذا المجال تُحيي الأمل بالمستقبل البشريّ في أفكار الناس من الآن، و تُضيء القلوب بشعاع الأمل و الإنتظار. و تجعل الناس ينتظرون و يتطلّعون منذ هذه اللحظة لئلّا يفقدوا الأمل و التفاؤل في ذروة الظلام و الظلم، و يظلّوا صامدين راسخين أمام جميع البلابِل و الاضطرابات، و يحرسوا القِيَم بوصفهم نواة المقاومة في المجتمع.

و قال الإمام الرضا«ع» بشأن ذلك الإمـام المُـنجي المـنقذ: «... اللّـهمّ... و بلّغهم آمالهم و زد في آجالهم... و تمّم لهم ما أسندتَ إليهم من أمرك لهم... فانّهم... و صفوة أولاد نبيّك....

اللّهمّ... و أمِت به الجور، و أظهر به العدل، و زيّن بطول بقائه الأرض... و ذلّل به الجبابرة... و جميع الملحدين في مشارق الارض و مغاربها... و حتّى تنزّه بعدله ظلم الجور، و تطفىء به نيران الكفر، و توضّح به معاقد الحقّ...»[1]

١ ـ مسند الإمام الرضا«ع» ٣٦:٢، ٣٧ جمع و ترتيب الشيخ عزيزالله العطارديّ